جنون تحت السيطرة

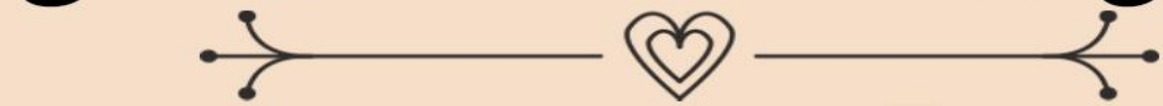

شـــــروق حسن

نوفيلا

نوفيلا

جنون تحت السيطرة

شروق حسن

النوفيلا دي بتجمع بين أبطال رواية "مُتيمة بنيران عشقه"
وأبطال رواية "خادمة الشيطان"، ومُنفصلة تمامًا عن
الروايتين، يعني اللي مقرأهمش مش هتأثر نهائي، دي
نوفيلا كوميدي خفيفة مش أكتر.

«جنون تحت السيطرة»

«الفصل الأول»

ضوضاء كبيرة وكارثة موجودة بتلك الغرفة الكبيرة نسبيًا، دلفت "غزل" بعدما طرقت الباب عِدة طرقات خفيفة ولم تجد جواب بالنهاية، تصنمت محلها عندما رأت مظهر الغرفة المُنقلب رأسًا على عقب، وعلى الفراش الموجود بمنتصف الغرفة، تقبع تلك الفتاة التي تحمل من ملامحها الكثير.

اشتعلت من مظهر الغرفة، ولم تتردد لثانية واحدة بأن تخلع نعلها وتقذفه على تلك الحمقاء التي تسببت بكل تلك الفوضى.

انتفضت "منار" من نومنتها بفزع، عندما شعرت بذلك الشئ يصتدم بظهرها، نظرت حولها بتيهة وبشئ من البلاهة وعدم الإدراك تسائلت وهي تُمسك به:

_إيه دا؟!!

جاءها صوت "غزل" من خلفها صارخة بها بغيظ:

_دا الشبب اللي هينزل بيزغرط فوق دماغك يا عين أمك.

صمتت قليلًا تأخذ أنفاسها، ثم أشارت للغرفة المُتسخة بكل ركنٍ بها:

_بقى دي منظر أوضة يا معفنة!! دي لو زريبة كانت هتبقى أنضف من كدا.

اعتدلت "منار" محلها مُتثائبة بكسل:

_مالك بس يا حبيبتي زعلانة ليه!! وبعدين يا ستي لو على الأوضة عفاف الشغالة هتيجي تنضفها.

اقتربت منها "غزل" قليلًا ثم سألتها بإبتسامة مُريبة:

_ألاه هو أنا مقولتلكيش!!!

حدقت بها بقلق، مُبتلعة ريقها وهي تسألها بريبة:

_لأ مقولتليش.

أكملت "غزل" حديثها بتعابير وجه شامتة:

_مش عفاف مشيت ومش هتيجي تاني، قِرفت منك ومن أخوكِ المعفن وخدت إجازة ذهاب بلا عودة، والكلام دا بقى معناه إيـــــه؟!!

ورغم علمها بإجابتها؛ إلا إنها تسائلت وهي تدعو بأن تُخيِّب ظنها:

_معناه إيه!!

صفقت "غزل" بيدها مُجيبة إياها بإبتسامة واسعة:

_معناه إنك هتنضفي أوضتك وتساعديني في الغسيل والمسيح والنشير والطبيخ يا عين أمك.

وما كادت أن تعترض حتى قاطعتها بتحذير وقوة:

_وخمس دقايق بالظبط أدخل ألاقيكِ منضفة الأوضة، وإلا قسمًا عظمًا هخلي شعرك دا شرشوبة وهمسح بيه البلاط، يلا يا بت بلاش دلع.

قالت جملتها ثم تركتها وخرجت من الغرفة بأكملها، تاركة إياها تشد على خصلاتها بغيظ من أفعال والدتها.

اتجهت "غزل" ناحية غرفة "مدثر" لتُيقظه هو الآخر، وما كادت أن تفعل؛ حتى استمعت إلى حديثه المُغازل الذي وصل إلى مسامعها:

_وأخيرًا يا بت هتبقي مراتي وهعمل اللي أنا عايزه، هـ...

لم يكد أن يُكمل باقي حديثه حتى دلفت "غزل" بملامح مكفهرة، قبل أن تتحدث بإستنكار:

_لأ والواد محترم أوي ومعملش اللي هو عايزه، إيش حال يا ولا ما كنت بقفشك أنت وهي تحت السلم!!!

اعتدل "مدثر" الذي كان يستند بظهره على الفراش، فتحدث بغيظ وما زال يضع الهاتف على أذنه:

_إيه يا ماما!!! ما تسبيني أقول للبت كلمتين حلوين.

اقتربت منه حتى باتت تقف أمام فراشه مباشرةً، ثم انتشلت الهاتف من بين يديه واضعة إياه على أذنها، متحدثة بحنق:

_بت يا لوچي احنا لسه فيها، الواد دا سافل وقليل الأدب وعينه زايغة، إهربي يا عين أمك من خلقته دي، ومتنسيش إنه كان بيخونك مع حور.

جاءها صوت "لوچي" المتذمر والتي هبت من مكانها بغضب:

_ما خلاص يا زوزا بقى، أنتِ لازم تفكريني بعملته المهببة يعني.

صرخ "مدثر" بغيظ بعدما انتشل الهاتف من يدها، ثم فتح مكبر الصوت به:

_يا حبيبتي والله ما خونتك، أنتِ عارفة إن حور بتحبني، أنا مليش ذنب.

تلك المرة ردت عليه "غزل" بصوت عالي حتى تستمع إليه الأخرى:

_كداب يا منافق، أنتَ طول عمرك قليل الأدب أصلًا، وأكيد كنت بتجر ناعم معاها.

كاد أن يُجيبها، لكن قاطعته "لوچي" التي هتفت بغضب:

_معاكِ حق، أكيد هو جَر ناعم معاها، أنا مش عايزة أكمل معاك يا مدثر، وخلي حور تنفعك، ومن غير سلام.

قالت كلماتها ثم أغلقت الهاتف بوجهه وهي تشعر بالحنق منه ومن إبنة عمها حور، هبَّ "مدثر" من على الفراش صارخًا بعلو صوته:

_يا بـابـــا، تعالى شوف مراتك يا عم الحج أنا مش ناقص.

خلعت "غزل" نعلها من قدمها للمرة الثانية، ثم ضربته به على ذراعه بقوة، هاتفة به بصراخ:

_مش ناقص إيه يا قليل الأدب يا عديم الرباية أنت!! ما أنتَ ابن ريان هقولك إيه يعني!!!

في تلك الأثناء أتى "ريان" وهو يرقص على أحد الأغاني الأجنبية الذي أصبح يستمع إليها في الآونة الأخيرة، أطلق "مدثر" صفيرًا يُشجع والده، ثم أنهى عبثه بحديثه الوقح مُتناسيًا غضبه وسبب ندائه له:

_شكلك رايق وفايق يا والدي، بركاتك يا غزل.

حدجته "غزل" بنظرات نارية ثم صرخت بهم بصوت أفزعهم:

_يعني مش كفاية عليا الراجل سافل!!! لأ وابنه كمان قليل الأدب ومترباش!!! أطفش وأسيبلكم البيت!!! أشد في شعوري يا ناس!!!

أغلق "ريان" الأغاني ثم حدق بها لوهلة، قبل أن يقول بقلق:

_ولما أنتِ تمشي مين اللي هيعملي المكرونة اللي بحبها!!!

ثانية.. ثانيتان.. والصمت يعم المكان، لم تتحدث ولو ببنت شفة، بل تُحدجه بنظرات حارقة، ذهب "مدثر" إلى والده ليقف بجانبه، ثم مال عليه يهمس بخوف:

_عجبك كدا!!! دلوقتي هتنكد علينا طول اليوم ومش هتعملنا أكل.

نظر له "ريان" بطرف عينه، ثم ابتلع ريقه بقلق، مُجيبًا إياه:

_تفتكر!!!

ارتسمت الحسرة على وجه "مدثر"، ثم هزَّ له رأسه بخفة عدة مرات يُؤكد على حديثه، عاد "ريان" بنظره إلى زوجته الصامتة، لم تتحدث، بل فقط تُتابعهم بنظرات جامدة، قرر إصلاح ما فعله بقوله الأحمق، لذلك اقترب منها حتى وقف قبالتها مُحيطًا بكتفيها:

_غزالتي أنتِ طبعًا عارفة إني بهزر صح!!!

دفعت يده بحدة فعاد ليقف بجانب ابنه مرة الأخرى، فأصبحا الإثنان يقفان أمامها كالأطفال المُذنبة، وهي تُعنفهم:

_بلا غزالتي بلا زفت، واسمعوا بقا انتوا الإتنين، أكل مش عاملة، ترويق مش مروقة، غسيل مش غاسلة، مسيح مش ماسحة، وابقوا اخبطوا دماغكم في الحيطة انتوا الإتنين، أنا راحة عند أمي.

أنهت حديثها ثم تركتهم ينظرون لبعضهم بتحسر، ليخرج صوت "ريان" الحزين:

_يعني كدا مش هناكل مكرونة النهاردة!!

_وبس يا بابا، هو قالي نتعرف من هنا، روحت ردحاله ومفرجة عليه الجامعة كلها، وأنا عشان طيبة وبنت ناس ومتربية، معملتش حاجة تاني.

أنهت «رهف» حديثها وهي تشرح لوالدها «معتصم» ما حدث من شجار مع صديق اقترح عليها فقط أن يقوم بالتعرف عليها.

صفق لها «معتصم» بفخر، ثم التقطها في أحضانه مُهللًا:

_أنتِ حبيبة أبوكِ، بس بلاش حوار إنك طيبة ومتربية دا، أنا أصلًا معرفتش أربي.

تجعد وجه «رهف» بضيق، فجاء صوت «جميلة» توأمتها المُتحدث بضجر:

_يا بابا بقولك فرجت علينا الجامعة كلها، الواد قالها نتعرف بس يا مؤمن مقالش حاجة تاني، وألاقي ماسورة شتايم انفجرت من بُوقها، ما كان ممكن تقوله لأ وتمشي وخلاص، لأ لازم تعمل فيها صعبة المنال.

عقبت «سجود» تلك المرة مُحدجة إبنتها بضيق:

_معاكِ حق واللهِ، ملهاش لازمة الهيصة اللي أنتِ عملتيها دي كلها.

أكدت عليها «جميلة» بثقة:

_بالظبط يا ماما..

لتصدمها «سجود» بإكمالها لحديثها:

_كنتِ إلطشيه قلم يعرفه مقامه المعفن دا، يعني إيه يتعرف عليكِ!! هي سايبة ولا سايبة!!

فتحت «جميلة» عيناها بصدمة، ثم نظرت لوالدها علّه يعترض على حديثها، لكنه لم يفعل شئ سوى تأييده لها، بل ومغازلته لها أمامهم:

_مراتي حبيبتي بتقول حِكَم واللهِ، أنا متجوز جوهرة وعهد الله.

خجلت «سجود» وأطرقت برأسها للأسفل تهرب من نظراته المُحدقة بها، لتُتمتم بحرج:

_الله يسترك.

تشنج وجه «معتصم» من إجابتها البلهاء تلك، بينما كتمت التوأمتان ضحكاتهما بصعوبة على ملامح والدهم المُضحكة، أشارت «رهف» لـ«جميلة» للذهاب لكنها لم تفقه تلميحها، أشارت لها «رهف» مرة أخرى، لتعقد «جميلة» حاجبيها بغباء لا تدري ماذا تريد.

لاحظ «معتصم» النظرات بين ابنتيه، وبالتأكيد تفهم موقف «رهف» ومغزى إشاراتها، لذلك نظر إلى «جميلة» بسخط مُرددًا:

_قصدها تقول للبعيدة تقوم وتسيب أبوها وأمها لوحدهم يا جِبلة.

انحلت عقدة حاجبيها ثم رفعتهم قائلة بإستنكار:

_في إيه يا بابا، هو أنت كل ما تلاقينا قاعدين بتبقى عايز تطرقنا، يا جدع اعمل حساب لسنك.

هبَّ «معتصم» من مكانه، واشتدت عيناه غضبًا من حديثها، ثم لوَّح في وجهها بنفور:

_وماله سني إن شاء الله يا بنت سجود!!! لأ يا حبيبتي دا أنا لسه شباب وبكامل قوتي وأناقتي، وكلمة كمان هتلاقيني بضهر إيدي وعلى وشك أوقعلك صف سنانك كلها.

أنهى حديثه وصدره يعلو ويهبط بإنهاك وتعب، ثم تمتم بمظهر مُثير للضحك:

_قالي سِني قال.

جذبته «سجود» تُربت موضع قلبه، وهي تُحاول قدر الإمكان السيطرة على ضحكاتها، ثم أردفت بخفوت:

_إهدى يا معتصم، صحتك ياخويا.

غضب مرة أخرى عند تذكيره، فكم يكره ذلك بحق، لا يعلم كيف مرَّ عشرون عامًا من حياته، وأصبح رجل أربعيني يغزو الشيب معظم رأسه، ورغم حفاظه على وسامته والتي خفتت قليلًا، إلا أنه يشعر بالحنق من ذلك.

حدق بهم بسخط جميعًا، ثم هبَّ من مكانه مُغادرًا، ليدلف إلى غرفته التي أغلق بابها بحدة تعكس مدي غضبه.

نظرت «سجود» لأثره بإبتسامة عاشقة، تعشقه رغم غضبه وضيقه، لقد وقعت به منذ زمن ولم يقل حبه في قلبها، بل يتزايد تدريجيًا رغمًا عنها، عادت لتنظر إلى ابنتها «جميلة»، ثم أردفت بعتاب:

_عاجبك كدا يا ست زفتة!! أهو أبوكِ اتقمص، وقدامه سنة على ما يتصالح بقى.

_هما اتلموا عليا من هنا، مسكتهم كلهم بإيد واحدة ونزلت طحن فيهم من غير ذَرة رحمة ولا شفقة.

صعدت تلك الكلمات من فم «إسحاق» المُمدد على فراش المشفى، ووجهه ملئ بالكدمات ويده قدمه مُلتفين بجبيرة كبيرة بطول ذراعه وقدمه.

وضع «موسى» يده على جروح وجهه يضغط عليها بقوة، ثم تحدث بسخرية:

_لأ واضح فعلًا إنك قطعتهم، ما شاء الله عليك، أنا مخلف راجل.

صرخ «إسحاق» بألم من لمس والده لوجهه الملئ بالكدمات التي لم تُشفى بعد، ثم أردف بحنق:

_آاه يا بابا وشـــي.

جاورته من الناحية الأخرى «تسبيح» التي أتت للتو ومعها إبنتها «مي» التي تحمل بعض العصائر والوجبات لشقيقها، مسدت «تسبيح» على ذراعه بحنو، ثم قالت موجهة حديثها لـ«موسى» بعتاب:

_حرام عليك يا موسى هو فيه نَفَس!!

رد عليها «إسحاق» مؤكدًا:

_قوليله يا ماما، القاسي مش حاسس بيا، توقعي مش مصدق إن أنا ضربت شوية الأوباش دول!!!

لوت «مي» شفتيها بإستنكار، مُكررة فعلة والدها معه:

_مصدقينك يا ضنايا متحلفش بس.

وللمرة الثانية يصرخ بألم شديد، تبعه صياحه المُهلل بها:

_قطع إيدك يا قذرة يا عديمة المشاعر والأحاسيس.

سدد له «موسى» نظرة نارية، ثم نكزه في جانبه بخفة:

_صوتك ميعلاش على أختك ياض بدل ما أقوم أكمل على خلقتك اللي مش باينة دي.

ثم نظر لـ«مي» التي تُحدق شقيقها بشماتة:

_تعالي جنبي يا حبيبة أبوكِ وسيبك منه.

جلست «مي» جانب والدها، ليُحيط بها من كتفها ناظرًا لـ«إسحاق» بتحذير:

_لو بصيت لأختك بصة مش عجباني هخذقلك عنيك دي.

سعدت «مي» من حديثه، لذلك قبلته بحب على وجنته مُردفة بحب:

_حبيب قلبي واللي ليا أقسم بالله، ياما نفسي أتجوز واحد عسل وحليوة زيك كدا.

أشار «إسحاق» ناحيتها بإتهام، موجهًا حديثه لوالدته:

_شايفة!! شايفة معاملته ليا!!! يا ستي الله يكرمك لو لقيتوني على باب جامع قولولي، على الأقل أروح أدوَّر على أهلي الحقيقين.

حدق به «موسى» بإشمئزاز، ثم أردف بجدية زائفة:

_اتوكس، وأنتَ مين يطيقك يا وش الفقر أنت!! احنا لو علينا نتبرى منك ونخلص بدل ما كل يوم والتاني تيجي لينا مضروب كدا.

أوقفه بإحتجاج مُدافعًا عن ذاته:

_لأ عندك يا والدي، دي كلها شوية كدمات، أنتَ لو شوفتهم هيصعبوا عليك من ضربي فيهم.

ربتت «تسبيح» على كتفه بإستنكار:

_واللهِ أنت اللي صعبان علينا يا حبيبي، خليك في خيبتك.

انكمش وجهه بضيق، بينما انفجر كُلًا من «موسى ومي» ضاحكين على تعابير وجهه المُستنكرة، وبعد قليل شاركهم في الضحك على بلاهته، وداخله يتوعد لهؤلاء الأوغاد الذين أخذوه غدرًا.

أنهت «منار» تنظيف غرفتها بعد عناء طويل، أنهكها التعب؛ لكن مظهر الغرفة النظيف جعلها تشعر بالإنتصار، وكأنها فازت في حربٍ ما للتو، بالطبع ستسعد والدتها بهذا الإنجاز العظيم الذي حققته.

فزعت عندما وجدت باب الغرفة يُفتح على مصرعيه، تلاه دخول شقيقها «مدثر» الذي يصرخ عاليًا غير عابئًا بالجميع:

_شايفة أمك وعمايلها!!! طفشت وسابت البيت ومعملتش لينا الأكل.

فتحت عيناها على مصرعيها بصدمة، ثم ضربت على صدغها بعدم تصديق:

_يالهوي!! معملتش أكل!!! إيه الأم دي!!!

دار «مدثر» حول ذاته يُفكر بما سيأكله، إلا أن توقف فجأة عندما أتى برأسه الحل:

_لقيتها... أنتِ اللي هتعمليلنا الأكل.

شهقت «منار» بردح هاتفة بصوت عالي:

_نـعـــــم!!! أنت هتهزر يا خويا!!! أنا مش بعرف أسلق بيضة حتى.

أمسكها من ثيابها من الخلف يهزها بقوة:

_أنتِ بتعلي صوتك على مين يابت أنتِ!!

وفي ثانية واحدة تبخرت قوتها الواهية، رسمت إبتسامة بلهاء على ثغرها، ثم أجابته بتلعثم:

_إيه دا هو أنا كنت بزعق فيك أنت!!! يقطعني.

قرَّب وجهه من أذنها يهمس لها بشر:

_ما هو هيقطعك فعلًا، بس هقطع لسانك الطويل دا.

لوت شفتيها ثم ردت بإمتعاض:

_يا مدثر سيبني بقى الله!! يا أخي ورايا جامعة وهتأخر.

تركها مُحدجًا إياها بقرف، ثم غادر من الغرفة تمامًا ورحل ليبدأ رحلة البحث عن الطعام، وهُنا أتى في خاطره فكرة خبيثة نوى فعلها.

بعد مغادرة «مدثر» مباشرةً، صدح هاتف «منار» يعلن عن قدوم مكالمة، أمسكته بيدها ثم تجعد وجهها بإستنكار، لتُغلقه ولم تُجيب عليه.

اتجهت ناحية الخزانة وأخرجت منها ثيابها الواسعة المحتشمة منها ثم وضعتهو على الفراش، وما كادت أن تُبدِّل ملابسها حتى صدح رنين الهاتف مرة اخرى.

نفخت بنفاذ صبر، ثم انتشلته بحدة مُجيبة على المتصل بغضب:

_عايز إيه يا «عُدي»!! نازل رَن ليه من الصبح!!

جاءها صوت «عدي» الغاضب يصرخ بها:

_أنا عايز أعرف أنتِ مبترديش على تليفونك من إمبارح ليه!!! اعملي حساب للحيوان اللي دايخ وراكِ على الأقل، دا لو بكلم في جماد كان حَس يا شيخة!!

استمعت لكلماته بألم، وتشكلت طبقة رقيقة من الدموع داخلهما، سيطرت على ذاتها ثم أجابته بصوت جعلته ثابت نسبيًا:

_عايز إيه يا عدي!!!

أجابها بهياج من إجابتها والتي ظنها باردة:

_عايـــز أعرف الهانم مالهـــا!!! إيه اللي غيرك من ناحيتي يا منار!!! فرحنا بعد اسبوعين وأنا وأنتِ كنا مبسوطين، إيه اللي حصـــل عايـــز أفهم!!!

سحبت نفسًا عميقًا، ورغمًا عنها انسلتت دمعة مليئة بالحرقة على وجنتها، مسحتها سريعًا ثم أجابته بثبات زائف:

_كل الحكاية إني مبقتش عايزة أكمل، مش مرتاحة معاك يا عدي، ارتحت كدا!!!

انتظرت إجابته ثانية وثانيتان لكن لا يوجد رد، حتى ظنته قد أغلق الهاتف بوجهها، لكن صوت أنفاسه الغاضبة وصوته الذي صرخ بسبة بذيئة أكدت عكس ذلك، ارتجف جسدها من غضبه، وارتعشت كل ذَرة بكيانها خائفة من ردة فعله، كادت أن تتحدث لكنه أغلق تلك المرة بوجهها بالفعل.

نظرت للهاتف بتحسر، ثم انفجرت باكية بعدها، لا تعلم ما عليها فعله، هناك شئ ما يؤرقها، لا تريد ظُلمه، تعشقه بكل كيانها، قلبه يصرخ بها لما فعلته، وعقلها يَحثُها على الإكمال، وستتبع صوت عقلها تلك المرة.

خرج «موسى» من المشفى متعجلًا عندما هاتفه «ريان» وطلب من القدوم لأمر هام لا يمكن تأجيله، لذلك أوقف سيارة أجرة ثم أملاه العنوان سريعًا، وداخله يدعو أن يكون الجميع بخير.

بينما هبطت كُلًا من «تسبيح ومي» للكافتيريا الخاصة بالمشفى لجلب الطعام والعصائر لـ«إسحاق»، الذي طمأنهم الطبيب على حالته، وأخبرهم بأنه يُعاني فقط من بعض الكدمات في وجهه ليست بالخطيرة وكسر خفيف في ذراعه الأيمن، وإلتواء كاحله ليس أكثر ولا يوجد به أي كسور، لكن الممرضة تخبطت بين حالته وبين حالة مرض آخر أتى معه، وقامت بتجبير قدمه كاملةً، وكذلك ذراعه.

بعد ذهابهم؛ أخرج «إسحاق» هاتفه يُهاتف «مدثر»، والذي أجابه سريعًا بمزاح:

_الواطي ابن الـ....

_لو قليت أدبك هخلي وشك شوارع يابن «ريان».

حمحم «مدثر» بقلق ثم أجابه بجدية:

_عايز إيه ياض انجز مش فاضيلك ورايا أشغال.

لوى «إسحاق» ثغره بإستنكار مُجيبًا إياه:

_أشغال مين يا أبو أشغال!! احنا هنصيع على بعض يا عاطل أنت!!

نفخ «مدثر» بقلة صبر ثم صرخ به:

_ما تنجز يلا مش فاضيلك.

_طيب طيب، المهم أنا في المستشفى وهتحجز فيها الليلة دي.

انخلع قلب «مدثر» خوفًا، ثم أجابه بهلع:

_يا مصيبتي!!! مستشفى إيه!!! بتموت!!! لأ يا إسحاق لأ، متعملش فيا كدا، متموتش قبل ما تجيب العشرة جنيه اللي عليك.

للحظة صدق «إسحاق» خوفه عليه، لكن بحديثه الأخير جعله يندم على مصادقته، لذلك أردف قبل أن يُغلق الهاتف بوجهه:

_بقولك إيه يا صاحب الندامة أنت، أنا مش عايز أعرفك تاني، جتك داهية في معرفتك.

نظر «مدثر» للهاتف بحاجب مرفوع قبل أن يتسائل بغباء يُشبه غباء والده:

_هو زِعل ولا إيه!!

فكر قليلًا مع ذاته، ثم شهق بصدمة:

_يالهوي دا شكله زِعل بجد!!!!.

يقف بالصيدلية التي عمل بها مؤخرًا يُولي ظهره للأشخاص الواقفين ينتظرون دورهم، مدَّ يده ليسحب ذلك الدواء الموجود بالرف العُلوي، حتى نجح في ذلك.

أعطى الدواء للعجوز بإبتسامة بشوشة، ثم ودعه بود وإحترام تاركًا إياه يقف وحده، جلس "سليمان" بإنهاك على المقعد المُخصص له فاركًا رأسه بتعب، فاليوم كان العمل يفوق طاقته بكثير.

فتح عيناه عندما استمع لصوت تلك السيدة التي دلفت للتو، والتي تهتف بصوت عالي:

_مساء الخير يا ضاكتور.

وقف من مكانه ثم ذهب ليقف قبالتها، ويفصل بينهما ذلك الحائل الزجاجي الملئ بالأدوية، رسم إبتسامة عملية على ثغره مُجيبًا إياها:

_مساء الخير يا حَجة، أساعدك بإيه!!

أخرجت عدة أوراق من حقيبة بلاستيكية سوداء رثة، ثم وضعتها أمامه على الحائل الزجاجي، قائلة له برجاء:

_والنبي يا ضاكتور خُد شوفلي التحاليل دي بتقول إيه، أصلي إمبارح رُحت كشفت والضاكتور قالي أعمل تحاليل، والنهاردة الخميس وهو مش موجود، فعشان كدا جيتلك تشوفلي عندي إيه وتطمني.

تمتم «سليمان» مع ذاته بجملة "لا إله إلا الله" لحلفانها بغير الله، ثم قال لها بعملية:

_مينفعش يا حَجة، لازم الدكتور نفسه هو اللي يشوف التحاليل دي عشان يكتبلك على علاج مناسب.

رسمت الحزن على معالم وجهها، ثم أردفت بنبرة جعلته يشعر بالشفقة تجاهها:

_يابني الله يكرمك طمني أنا قلبي واجعني.

شعر بالحزن تجاهها، لذلك أخذ منها الأوراق ونظر داخلهم لبضعة دقائق قليلة، ثم نظر لها بسعادة قائلًا بإرتياح:

_الحمد لله يا حَجة مفيش أي حاجة، التحاليل سليمة وزي الفل، هما بس شوية أملاح وأنيميا مع العلاج هيروحوا لحالهم.

انكمش وجهها بغضب، ثم دفعت له الأوراق مرة أخرى بحدة مُردفة بسخط:

_يا ضاكتور شوف بس يمكن فيه حاجة كدا ولا كدا وأنت مش واخد بالك.

قطب جبينه بتعجب، وللحق لقد اندهش كثيرًا من ردة فعلها، ظنها ستسعد لتلك الأخبار المُبهجة وأنها بكامل صحتها، لكنها عكست توقعاته، لذلك أعاد النظر في التحاليل الخاصة بها، ثم نظر لها مجددًا قائلًا:

_زي ما قولتلك يا حَجة التحاليل سليمة ومفيـ....

وما كاد أن يُكمل حديثه حتى قاطعته صارخة في وجهه:

_هو إيه اللي مفيهاش حاجة!! دا أنا دافعة دم قلبي في التحاليل دي وفي الآخر تقولي مفيهاش حاجة!! أنت أكيد مش بتفهم، أنا غلطانة أصلًا إني أسألك يا دكتور البهايم أنت.

قالت جملتها ثم تركته ينظر لأثرها مشدوهًا من ردة فعلها الحانقة والغاضبة بذاتِ الوقت، وما كاد أن يستوعب ما حدث ويعود لمحله، حتى أتي له طفل صغير يحمل غطاء لدهان ما، ثم أردف له بطفولية وهو يمد يده يحثه لإمساك ذلك الغطاء:

_عمو.. عمو.. بتقولك ماما هات المرهم بتاع الغطا دا.

وهنا فقد أعصابه كاملةً، لذلك صرخ في وجهه دون أن يُراعي عُمر الطفل أو ابن مَن هو:

_غـــــور من وشـــي، مش ناقصك يلا أنت وأمك.

نظر له الصبي لثوانٍ، ثم بدأ في البكاء بهستيريا وغادر يهرول للخارج، تاركًا إياه ينظر لأثره بندم، وللأسف لا يعلم ما ينتظره بعد قليل.

«يُـتْـبَـعْ»

«جنون تحت السيطرة»

«الفصل الثاني»

بعد ذهاب ذلك الطفل من أمامه باكيًا، عنَّف «سليمان» ذاته بحدة وعتاب، فطفل كهذا لا يستحق ذلك التوبيخ الذي ناله منه، منذ متى وكان قاسيًا هكذا!! سحب نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل، ومن داخله قرر الإعتذار لذلك الصغير عند رؤيته مجددًا.

لم تمر سوى خمس دقائق، وسمع صوت جلبة تأتي من الخارج، لم يهتم من البداية، خاصةً وأن تلك المناطق الشعبية يحدث فيها العديد والعديد من المشاحنات، وبالطبع لن يُدخل ذاته في ذلك.

أعلن هاتفه عن إتصال عندما صدح رنينه في الأرجاء، انتشله من على الطاولة العريضة، ثم ابتعد قليلًا عن مصدر الصوت الذي يقترب منه تدريجيًا لكنه لم يُعطي لذلك همًا، وجد إسم «مدثر» يُنير على شاشته، لذلك أجاب بهدوء:

_السلام عليكم.

أتاه صوت «مدثر» المازح:

_وعليكم السلام أخ سليمان، كيف حالك وحال أولادك وبناتك وأولاد خالاتك وعماتك ووالديك عزيزي.

تشنج وجه «سليمان» بإستنكار، ثم أجابه بسخط:

_ولاد مين!! يابني أنت أهطل!! انجز في يومك دا عايز إيه!!!

قطب «مدثر» جبينه بغضب، ثم نهره قائلًا:

_ولد!! أنت مش عارف إني أكبر منك بـ 7 سنين، يعني المفروض تحترمني وتقولي يا أونكل.

استنكر «سليمان» حديثه عن عمره، فـ«مدثر» يبلغ من العمر الثامنة والعشرون، لكن أفعاله تُوحي بصغره وطفوليته، يشبه الأطفال.. لكن ليس في البراءة، بل في الغباء.

تلك المرة تحدث «مدثر» بجدية طفيفة:

_المهم كنت عايز أقولك إن إسحاق في المستشفى، شكل العيال إياهم هما اللي عملوها ومش ناويين يجيبوها لبر، فـ...

قاطعه «سليمان» وملامح الخوف تُسيطر على وجهه، عندما وجد الكثير من الرجال يقفون أمامه ومعهم ذلك الطفل، بل ويحملون في أيديهم عُصيّ كبيرة ستقضي عليه لا محالة إن هبطت على جسده:

_بقولك يا مدثر!! احجزلي سرير جنب إسحاق الله يسترك، أصلي بحبه وناوي أقضي معاه اليوم.

قطب «مدثر» جبينه بتعجب، وكاد أن يسأل عن ماهية حديثه؛ فوجد الإتصال قد انقطع عنه، نظر للهاتف ببلاهة مُتمتمًا مع ذاته:

_أهبل دا ولا إيه!!

هزَّ كتفه بلامبالاة واضعًا الهاتف بجيب بنطاله، ثم استعد للذهاب إلى «إسحاق» بالمشفى للإطمئنان عليه، لكن قبل أن يذهب إليه؛ سيتجه إلى منزل معشوقته ليراها، فلقد اشتاق لها حد اللعنة، وما زاد شوقه؛ هو عدم إجابتها على الهاتف بسبب كلمات «غزل» التي ألقتها على مسامعها.

البلهاء تظن بأنه يُحب أخرى، لا تعلم بأنها امتلكت قلبه منذ الصِغر، وكأنها ألقت عليه لعنة العشق ليُصبح أسيرًا لها، رمت عليه تعويذة خاصة بها، فأصبح سجين لهواها.

وعلى الجانب الآخر.. ابتلع «سليمان» ريقه برعب عند رؤيته لهؤلاء الرجال، والذي يظهر الإجرام على ملامح وجوههم، هتف أحدهم بصوت غليظ ومخيف:

_أنت فين يا دكتور الندامة أنتَ!!!

حاول «سليمان» التحلي بالشجاعة، فخرج من تلك الزاوية الصغيرة الموجودة بالصيدلية، ثم أردف بصوت جعله ثابت بقدر الإمكان:

_أيوا يا فندم أقدر أساعد حضرتك في حاجة!!!

أتاه الجواب على هيئة ضربة أطاحت بلوح الزجاج المُمتلئ بالأدوية، حينها تمتم «سليمان» بصوت باكٍ:

_دعواتك يما، هموت مقتول يا خرابي.

أمسكه الرجل من ياقة قميصه ثم هزه بعنف مُقربًا وجهه من وجه الآخر، مما جعل رائحة أنفاسه الكريهة تضرب ببشرته:

_أنت اللي زعقت للواد ابني!! دا أنت سنة أهلك سودة.

أبعد «سليمان» وجهه عنه بنفور، وقام بإغلاق أنفه بيده، ثم تحدث بإشمئزاز:

_ريحة بُوقك ياي أوفر، حضرتك في هنا غسول للفم روعة، فلو عايز ممكن أجيبلـ....

اشتدت قسمات وجه الآخر بالغضب، حتى أوشكت على الإنفجار، وهُنا أنعى «سليمان» غباؤه على ما يتفوه به من حُمق، وما كاد أن يتحدث؛ حتى باغته الرجل بلكمة أصاحت بجسده الضئيل أرضًا، ليستمع إلى صوت أحد أبناء ذلك الرجل:

_سيبوا يابا وأنا هقطعه، مش هخلي في خلقته حِتة سليمة.

ابتعد له أباه دون أن يتفوه بكلمة واحدة، فإشتدت يده على الإمساك بالعصى وهو يُحدقه بتوعد، ابتعد «سليمان» بظهره للخلف، ثم رفع سبابته يُحذره بشجاعة واهية:

_أنت.. أنت عارف لو قربت مني هعمل فيك إيه!!! هصوت.

إلتوى ثغر الآخر سخريةً، ثم رفع يده وهبط بالعصى على رأسه، ليفقد وعيه في الحال.

وصل «موسى» مهرولًا إلى منزل «ريان»، والذي طلبه في شئ هامًا للغاية، طرق جرس الباب ففتح له «مدثر» الذي كان ينتوي الهبوط، والذي أردف بمشاكسة:

_أووه يااااه، موسى ذات نفسه عندنا هنا!!!

دفعه «موسى» بنفاذ صبر، ثم دلف للداخل بعد أن سأله بترقب:

_والدتك هنا!!!

هزَّ رأسه نافيًا، ليجلس «موسى» على الأريكة بإنهاك مُتمتمًا بتعب:

_منك لله يا ريان، ويخربيت ومعرفتك.

أنهى حديثه ثم نظر إلى «مدثر» المُتابع إياه ببلاهة، قائلًا:

_نادي لأبوك عشان ألحق أرجع للمستشفي للواد المتلقح هناك دا.

أومأ له «مدثر» بالإيجاب، وعلى بغتة أفزعت الآخر نادي على أبيه صائحًا بصوت عالي:

_أبااااا... يابـــا... كلم موسى.

انتفض «موسى» من مكانه حاملًا المزهرية التي بجانبه، ثم قذفه بها:

_موسى إيه يا قليل الأدب يا عديم الرباية، ما أنت ابن ريان صحيح.

خرج في تلك الأثناء «ريان» من المرحاض مُدندنًا مع ذاته بلحن أغنية ما وهو يُجفف خصلاته المُبتلة، جزَّ «موسى» على أسنانه بغيظ عندما رأى حالته المُستمتعة، لم يكن واقع بمصيبة كبيرة كما أخبره إذًا!!!

أبصر «ريان» نظراته الغاضبة المُصوبة تجاهه، وسرعان ما رسم الحزن على تعابير وجهه، إلتوى ثغر «مدثر» بإبتسامة عابثة وهو يعلم بقدوم عِراك بين الإثنان لا محالة، لكن ولسوء حظه ليس لديه الوقت الكافي للمتابعة، لذلك حمحم وهو يستأذن منهم:

_طب بالسلامة بقى عشان ورايا مشاوير وهَم ما يتلم، وابقى صورلي الخناقة بس مباشر يا والدي.

أنهى حديثه ثم تركهم وغادر هابطًا للأسفل، يقصد منزل «فارس»، وبالتأكيد يُريد أن يراها هي تحديدًا.

استدار «موسى» لـ«ريان»، وما كاد أن يسأله عن سبب دعوته تلك؛ حتى استبقه «ريان» وهو يتقدم منه مُتحدثًا بنبرة حزينة:

_شوفت يا موسى يا خويا اللي حصل!! غزل سابت البيت ومشيت، وحالفة يمين طلاق ما هي راجعة، بقى بعد السنين دي كلها تتخلى عني وتسيبني!!

جائه رد «موسى» الساخط وهو يُسيح بيده في وجهه:

_يا أخي بركة إنها طفشت، أنا مش عارف استحملتك أنت وابنك كل السنين دي إزاي!! دا أنا صاحبك أهو ومش طايقك.

حدجه «ريان» بإستنكار، ثم مصمص على شفتيه رافعًا أحد حاجبيه:

_ومالي أنا وابني إن شاء الله!!! دا احنا حتى مفيش في هدوئنا ولا في أخلاقنا.

أكد عليه «موسى» ساخرًا:

_على يدي يا حبيبي والله، أنت من كُتر الإحترام ناقص تكون إمام جامع.

استشف سخريته في الحديث، لذلك مطَّ شفتيه بضيق ولم يُعقب، حدجه «موسى» بيأس وهو يهز رأسه بقلة حيلة، فـ«ريان» سيبقى كما هو، طفل صغير يحزن من أقل الأشياء، مهما احتل الشيب رأسه سيظل كما هو.

حمحم ثم اقترح عليه بحماس ليُخرجه من ضيقه:

_أنا عندي فكرة، أنت تشتري ليها بوكيه ورد حلو كدا، مع علبة شيكولاتة من اللي قلبك يحبها، وتاخدهم معاك وتروحلها عند بيت أهلها وتصالحها.

نالت الفكرة إعجاب «ريان» كثيرًا، هو بكل تلك السنوات لم يجلب لها وردًا أو حلوى، بل كان يكتفي بأن يُعطي لها عِقدًا من الذهب أو ما شابه، وللحقيقة كانت تسعد كثيرًا، فكانت أقل الأشياء تجعلها تكاد أن تطير فرحًا.

أومأ بالإيجاب وعلى ثغره ابتسامة تتسع تدريجيًا عند تخيله لردة فعلها، أستسعد!! بالتأكيد كذلك، نظر لـ«موسى» المُتابع له ثم أردف بإلحاح:

_طيب تعالى معايا عشان خايف أعُك الدنيا معاها.

استهجن «موسى» حديثه، فأجابه بحاجب مرفوع:

_يابني أنت صغير!! دا أنت عندك 51 سنة.

ورغم أن حديثه صحيح، إلا إنه صاح في وجهه بتوبيخ:

_طب متقولش 51 سنة بس، أنا مازالت شاب عشريني وسيم.

لوى شفتيه ساخرًا، ثم هبَّ من مكانه مُتأهبًا للذهاب:

_طيب أنا همشي بقى عشان إسحاق في المستشفى لوحده هو والجماعة.

وقف «ريان» هو الآخر قاطبًا جبينه بقلق:

_مستشفى ليه!! إيه اللي حصل!!

أجابه «موسى» مستنكرًا وبسمة ساخرة مُتشكلة على ثغره:

_أبدًا يا سيدي، مِسِك شوية عيال ضربهم لحد ما طحنهم، وهو دلوقتي اللي في المستشفى.

لم يفهم «ريان» حديثه في البداية، سرعان ما استشف المغزى من وراءه، ليُطلق ضحكة رنانة صدحت في الأرجاء، تلاها قوله الضاحك:

_لأ راجل صحيح، ابقى سلملي عليه لحد ما آجي أزوره أنا وغزل النهاردة.

شاركه «موسى» الضحك وهو يُومئ له، ثم غادر وتركه يضحك بخفوت على هذا الحديث، والذي من المؤكد أن «إسحاق» هو قائله.

هبط «مدثر» لمنزل «لوچي» حتى يُصالحها، يُفكر في غيرتها العمياء من «حور» ابنة «أحمد أبو زيد»، وقف أمام باب المنزل مباشرةً، وقبل أن يطرقه تمتم مع ذاته:

_ربنا يسامحك يا ماما، دي هتطين عيشتي.

استجمع رباطة جأشه ثم طرق الباب على مهل، انتظر قليلًا حتى فُتِح الباب ببطئ، وأول مَن قابله هو «فارس» الذي ما إن رآه حتى رسم بسمة صفراء على ثغره، تبعها بقوله الحانق وهو يجز على أسنانه بغيظ:

_عايز إيه يا ابن ريان!!!

ارتسم التوتر على محياه من وجوده، فـ«فارس» يُحبه، لكنه لا يطيق وجوده بجوار ابنته، يحبها بشدة ويغار عليها كأنها محبوبته وليست ابنته، رفع يده في الهواء مِلوحًا بها ببلاهة:

_ازيك يا عمو!!

لم يُجيبه، بل ظل يُحدق به بجمود لعلمه سبب قدومه، بالطبع قادم لتلك المُدللة ابنته، وهو لن يسمح له بذلك، علم «مدثر» ما يجول بخاطره، لذلك رسم على محياه الضيق، قائلًا بحزن زائف:

_طبعًا مفكرني جاي لـ«لوچي» صح!! على فكرة أنا جاي ليك أنت عشان أقولك إن عمو موسى قاعد مع بابا فوق وبيعيط عشان ابنه إسحاق في المستشفى.

فتح «فارس» عيناه بفزع متشدقًا بقلق:

_بتقول إيه!! مستشفى!!

لم ينتظر حتى لسماع اجابته، بل هرول للأعلى لـ«موسى» والذي بات صديقه في تلك السنوات التي مضت منذ أن تزوج بـ«تسبيح»، نظر «مدثر» لأثره بعيون يلتمع فيها المكر والخبث، ثم دلف مسرعًا للداخل حتى يستطيع التحدث معها قبل أن يأتي «فارس» إلى هنا مجددًا.

اصطدم بـ«زهر» والتي كانت تخرج من المطبخ في ذلك الوقت، وضعت يدها على قلبها بفزع قائلة بخضة:

_حرام عليك يا مدثر، حد يدخل كدا!!!

أجابها مُسرعًا وهو يُربت على كفها بإعتذار:

_حقك عليا يا حماتي، قوليلي بسرعة لوچي فين!!

ابتسمت بخفة وعلمت الان سبب هرولته تلك، فأشارت تجاه أحد الغرف قائلة بضحك:

_هناك قاعدة في أوضتها.

أما بالداخل.. عندما استمعت «لوچي» إلى صوته، قامت بإغلاق باب غرفتها بالمفتاح الخاص به حتى تمنعه من الدخول، فما زالت غاضبة منه، رغم علمها بأن ليس له ذنب في ذلك، ولكن هي تغارُ عليه بشدة.

استمعت إلى صوت الباب، تبعه صوته المُنادي:

_لوچي افتحي أنا مدثر.

هزت رأسها برفض كأنه يراها، ثم أجابته بتنعت وغضب:

_لأ مش فاتحة، وابقى خلي ست حور تنفعك.

_حور مين بس دلوقتي!! طب افتحي بس ونتفاهم أنا وأنتِ بشكل وِدي.

أصرت على عنادها مُجيبة إياه:

_لأ برضه، مش هفتح يعني مش هفتح، وسيبني وامشي دلوقتي يا مدثر بدل ما أنادي لبابا.

لم يُعير لحديثها أي أهمية، فقال بصوت عالي وصل لمسامعها:

_افتحي يا بت، دا أنا الذي لا ينام الليل الكحلي بسبب التفكير في عيونك العسلي يا بت.

لم تُجيبه بل تمددت على فراشها مستمتعة بحديثه الذي يُلهب نيران قلبها، تشكلت بسمة عاشقة على ثغرها عندما استمعت لبداية حديثه، سرعان ما اختفت عند استماعها لآخره:

_وأقسم بالله بحبك أكتر من حبي للمكرونة بشاميل.

قطبت جبينها بغضب، ثم هبت من على فراشها بعصبية، تقف خلف الباب صارخة بحدة:

_لأ شكرًا مستغنيين عن خدماتك ياخويا، روح حِب المكرونة أحسن، احنا مش بنشحت حب من سيادتك، ولو اتطربقت السما على الأرض مش هفتح الباب يا مدثر.

بعد ربع ساعة... كانت «لوجى» جالسة على الأريكة المُقابلة لـ«مدثر» قائلة بخفوت وخجل:

_وأنا كمان بحبك يا مدثر.

أسبل عيناه على وجهها بوله، ثم أردف ببلاهة:

_اعطيني كمان واحدة مدثر يارب تتجوزي.

فتحت فمها في نية لإجابتها، وإذ بوالدها يدلف بغضب مُمسكًا بـ«مدثر» من ياقة قميصه وهو يهزه بعنف:

_بقى أنت يلا بتضحك عليا أنا!! طيب معنديش بنات للجواز.

جعد «مدثر» جبينه بضيق، ثم أشار لـ«لوچي» التي تُتابع شجارهم المعتاد بضحكة مكتومة:

_أومال اللي قدامك دي إيه!!! أباجورة!!!

هزه «فارس» بعنف وهو يكز على أسنانه:

_هي مين دي اللي أباجورة يلا!!! بقولك إيه أنت أصلًا خاين وأنا ميرضنيش إن بنتي تتخان.

وبصعوبة انفلت «مدثر» من بين يديه مبتعدًا عنه، تاركًا مسافة مُناسبة للهروب، ثم صفق بيده بطريقة تُشبه الردح:

_هو إيه اللي ميرضكش بنتك تتخان!! ما أنت خونت طنط زهر مع السكرتيرة ومتكلمناش.

ثانية.. ثانيتان.. وكان الصمت يعم المكان، ومن بعدها استمع الجميع إلى صوت صياح «زهر»:

_نعـــم نعـــم!!! بتخوني!!! والله دا أنا أقتلك فيهـــا.

حمحم «مدثر» بقلق، ثم عدَّل ياقة قميصه بيده، مُردفًا ببرائة:

_طيب يا جماعة استأذنكم أنا بقى عشان هروح أصلِّي المغرب.

قال جملته ثم انطلق هاربًا للخارج بعدما أشعل الأجواء المحيطة به، وجهَّت «زهر» عيناها الغاضبة نحو زوجها، ثم أردفت بخفوت قريب وهو تُمسك بآلة حادة (السكينة) بين يديها:

_عايزة أفهم كل حاجة دلوقتي يا فارس، بدل ما أقتلك وأقتل ولادك الاتنين.

ارتسمت ابتسامة متوترة على ثغر «فارس» وكذلك «لوچي»، دلف في تلك الأثناء «عدي» المُقطب الجبين،

والذي لم يُعيرهم أي أهمية، دالفًا إلى حجرته بصمت وهدوء مريب أثار تعجبهم.

قرر «فارس» التحدث معه لكن بعد الإنتهاء من حوار زوجته والتي من الممكن أن تقضي على حياته في لحظة غضب، اقترب منها رويدًا قائلًا لها بتهدأة:

_أنتِ عارفة إني بحبك يا زهري مش كدا!! يعني مستحيل أبص لأي واحدة برا، لإنك بإختصار مالية عيني وقلبي.

حسنًا.. لقد قام بتهدأتها، لكنها ستصر على رأيها لمعرفة الأمر كاملًا، لذلك أشاحت بيدها في الهواء صائحة:

_أومال إيه الكلام اللي مدثر بيقوله دا!!

أجابها بسباب يخصه:

_دا عيل حقير ملكيش دعوة بيه.

اقترب منها ببطئ، ثم انتشل منها السكين على بغتةً، فقرَب وجهه منها قائلًا بهيام:

_بقى حد يكون معاه الفراولة كلها ويبص للسردين!!

نفخت «لوچي» بغيظ، ثم دلفت إلى غرفتها مُغلقة الباب خلفها، وهي تقول بحسرة:

_منك لله يا مدثر، تعالى اتعلم من بابا يكش تحس على دمك.

_يا محمود ما تجيب بوسة بقى الله!

هتفت «ميران» بتلك الكلمات بضجر مُوجهة حديثها لزوجها الذي يجلس بعيدًا عنها على الأريكة المقابلة، هزَّ «محمود» رأسه بلا وهو يُحدجها بضجر من طرف عيناه، ثم أردف بغيظ:

_لأ، عشان تبقي تتصرفي بمزاجك وتخرجي من غير إذني بعد كدا.

جعدت وجهها بضيق ثم اقتربت منه حتى جلست جانبه مُباشرةً:

_طيب عشان خاطري متزعلش مني، وبعدين دا أنا كنت بزور مريض، وزيارة المريض واجب.

أشاح بيده وهو يُجيبها:

_بلا واجب بلا بتاع، واللهِ حتى لو بتزوري أمك تقوليلي.

وضعت يدها على كفه المُجعد قليلًا، قائلة بإلحاح:

_حاضر والله هقولك بعد كدا، بس خلاص متزعلش.

حاول أن يظل على موقفه؛ لكن أمام نظراتها المُترجية انهزم، أحاط بها فوضعت رأسها على كتفه قائلة بحب:

_بحبك يا حودة.

قبَّل جبينها بعشق:

_وحودة بيموت في قلبه.

رفعت رأسها له وعادت نظرات المكر والخبث تُحيطان بعينها:

_طيب البيت فاضي ها ولا مش واخد بالك!!

كتم ضحكته بصعوبة شديدة، ثم تصنَّع الجهل:

_أيوا يعني إيه مش فاهم!

اقتربت منه رويدًا حتى قالت بهمس:

_يعني استغل الموقف يا حودة بقى، عايزين نجيب أخ لـ«سليمان» بدل ما هو وحداني كدا.

اقترب منها، وما كاد أن يُجيبها؛ حتى استمع إلى صوت رنين هاتفه، تأففت هي بضيق ثم أردفت بسخط:

_هو دا وقته!!

ضحك عاليًا ثم حاول التحكم بذاته، وبعد أن نجح في ذلك؛ أجاب على الهاتف بصوت هادئ رزين: _

السلام عليكم.

_وعليكم السلام، كنت عايز أبلَّغ حضرتك إن ابنك في المستشفى.

انتفضت من مكانه متحدثًا بهلع بعد أن دفع «ميران» بعيدًا:

_سليمان!!! إيه اللي حصله!! ومستشفى إيه اللي هو فيها!!

_ابني.

كلمة خرجت من فم «ميران» المزعورة بعدما استمعت لحديث زوجها الأخير.

أغلق «محمود» الهاتف بعدما أملى عليه الآخر اسم المشفى المُحتجز بها «سليمان»، ثم دلف لغرفته و«ميران» خلفه تسأله بجزع:

_إيه اللي حصل يا محمود!! سليمان ماله!!

أجابه بتيهة أثناء إتجاهه إلى خزانته ليُخرج منها ثيابه التي بدأ في إرتدائها سريعًا:

_معرفش يا ميران معرفش، أما أنتِ لو تتقي الله وتبطلي قلة أدبك دي!! ربنا هيباركلنا في حياتنا وكتاب الله.

لم تجد الوقت لإجابته، بل اتجهت نحو ثيابها ترتدي عبائتها وحجابها سريعًا، حدجها «محمود» بسخط وهو يُكمل إرتداء ثيابه:

_أنتِ راحة فين!!!

أجابته بتنعت وإصرار:

_راحة لإبني، ما هو مش ابن البطة السودة.

أغمض عينه لكي يتحكم في إنفعالاته، ثم أنهى إرتداء ملابسه، وهي كذلك، تاركين المنزل مُتجهين إلى المشفى القابع بها ابنهم.

قلبه يتآكل ألمًا مما ألقته على مسامعه، تُريد الإبتعاد وهو العاشق لها منذ صغرها، ألقت عليه حاجز يُبعد بينه وبين الجنس الآخر فأصبح لا يرى سواها، عشقها أرهقه، وحديثها أنهكه، وبالنهاية تُريد الطلاق، وهو مَن كان يتوقَ لزفافهم الذي سيُقام بعد أسبوعان من الآن، يشعر بجدران الغرفة تكاد أن تطبق على أنفاسه، رئتيه تُريد الهواء، يُريد أن يتنفس، ولن يحدث ذلك إلا أن تعود له.

تذكر حديثهم الدائر منذ سويعات قليلة عندما ذهب ليلتقيها، وبعد محاولات كثيرة لمعرفة ما بها، ألقت على مسامعه جُملة جعلته يُقسم بأنه سمع صوت تفتت فؤاده:

_عُدي أنا مش عايزة أكمل.

فتح «عدي» أول ثلاثة أزرار من قميصه الأسود ليلتقط أنفاسه، ورغم أنه قادم من عندها منذ دقائق، إلا أنه قرر الذهاب إليها مرةً أخرى لمعرفة السبب خلف قرارها ذلك.

خرج من المنزل سريعًا وصعد عدة درجات للأعلى قاصدًا منزلها، لكنه توقف عندما رأها تهبط الدرجات بتعابير وجه منكمشة، توقفت عندما وجدته أمامها، ثم استرسلت

هبوطها تحاول تجاهله، مرت من جانبه في نية لتركه، لكنها توقفت عندما أمسك بمعصمها جاذبًا إياها حتى أصبحوا يقفون أمام باحة منزله هو.

أفلتت «منار» معصمها من يده بقوة، ثم تحدثت بحدة:

_أنت عايز مني ليه!! مش قولنا كل اللي بينا انتهى وهتطلقني!!

ضرب على الحائط من خلفها جازرًا على أسنانه وهو يُمسك بها من ذراعها بعنف:

_أنتِ اللي قولتي، أنا مقولتش حاجة، وطلاق مش هطلق، وحالًا عايز أعرف السبب ورا القرار المتخلف دا، وبعدين راحة فين من غير ما تقوليلي!!

سحبت يدها بعنف من بين قبضته، ثم أشارت بسبابتها أمام وجهه مُردفة بصراخ:

_ملكش دعوة بيا، وآخر مرة تفرض نفسك عليا تاني أنت سامع!!!!

خطَّت عدة خطوات تنوي تركه والذهاب، لكنه لم يسمح لها بذلك، بل دفعها للخلف ليصتدم ظهرها بالحائط العريض من خلفها بقوة آلامتها، مُتحدثًا بقوة وأعُين تطلق شررًا:

_لو الهانم ناسية إنها مراتي فأنا أحب أفكرها بدا، واللي بقوله هيتسمع من غير نقاش، مفهوم!!!

دفعته بغل قبل أن تنطق بكُره ظاهر:

_طلقني.

ولثاني مرة ترميها أمام وجهه دون ذرة رحمة أو شفقة، لم تنظر إلى قلبه المتألم بعشقها، ضاربة بكل تلك السنوات التي قضوها معًا بعرض الحائط، عاد للخلف عدة خطوات وهي لا تفعل شئ سوى متابعته فقط، تُقسم بأنها فؤادها يؤلمها أضعافًا مُضاعفةً عنه، لكن لا توجد سوى تلك الطريقة.

أومأ لها بهزات خفيفة من رأسه، ثم تحدث بجمود رغم ذلك الألم الذي أحاط بعينه:

_هطلقك يا منار، هطلقك وهدوس على قلبي وقلبك، هتجوز وهشوف حياتي، بس بعيد عنك، ورقتك خلال يومين هتكون عندك، ومن هنا وجاي أنتِ بنت عمي وبس.

في تلك الأثناء.. فتح فارس باب المنزل والذي استمع إلى الحديث بأكمله لكنه لم يود التدخل من البداية، لكن الآن

الأمر مختلف تمامًا، فمن المؤكد بأنهم سينهون كل شئ بغبائهم هذا، لذا عليه التصرف.

كانت دموع «منار» تهبط دون هوادة عندما استمعت لحديثه الأخير، ظنت بأنها ستستطيع التحمل والتجاوز، لكن مجرد الحديث انهارت وباتت على مشارف الإنهيار، اتجه إليها «فارس» ثم أخذها في أحضانه مُربتًا على ظهرها:

_اهدي يا حبيبتي وبطلي عياط، أنا مش عارف أنتِ كنتِ مستحملاه طول الفترة اللي فاتت دي إزاي!! أنا أبوه أهو ومش طايقه.

حاول بحديثه المُمازح أن يضحكها، مما أغاظ «عدي» كثيرًا وجعله يقول بحنق:

_يا بابا أنت بتقول إيه!!

نهره «فارس» بجدية وغضب:

_اخرس يا حيوان وغور من وشي دلوقتي، بقى حد يزعَّل البسكوتة دي!! لأ وتخليها تعيط كمان!! دا أنت كائن معندكش دم.

كز «عدي» على أسنانه بغضب، ثم ذهب من أمامهم والنار تشتعل في كل جزء بجسده، لم يُحبذ أن تنتهي الأمور هكذا، لكنها استنزفته بكل ذرة فيه.

بعد ذهابه... أخرج «فارس» تلك الباكية من أحضانه، ثم مسح دموعها من على وجهها، جاذبًا إياها من يدها للداخل لكي يتحدث معها:

_تعالي يا بسكوتة نتكلم شوية.

أطاعته ودلفت معه للداخل ولم تتحدث، جلست على المقعد المقابل له، ورغمًا عنها التقطت عيناها صورته الموضوعة على الطاولة من جانبها، وسيمًا بدرجة أرهقت قلبها، رغم أنه يظهر للآخرون كشخص عادي، لكن المُحِب يرى الحبيب بقلبه هو.

سحب «فارس» نفسًا عميقًا قبل أن يزفره على مهل، وبعدها نظر إليها مُطولًا قبل أن يتحدث بهدوء:

_طبعًا أنا مش هقولك ليه عملتي كدا ولا ليه عايظة تطلقي من "عدي"،"عدي" قبل ما يكون ابني فأنتِ كمان بنتي وحِتة من قلبي، زيك زي لوچي بالظبط، اللي يجي عليها كأنه بيجي عليا بالظبط، ولو "عُدي" زعلك أو عمل حاجة ضايقتك؛ خليكِ متأكدة إني هقف في ضهرك وهخليه يطلقك غصب عنه، لكن قبل دا كله عايز أقولك إنه بيموت فيكِ،

ومش عشان ابني بقول كدا لأ، بس أنا فاهمه أكتر من نفسه، وعارف إنك أغلى حاجة في حياته، أنا مش عايز نهايتكم تبقى كدا، مش عايز حد فيكم يتحرق بنار الحب، ليه عايزة تبعدي وتطلقي!!

تشكلت طبقة كثيفة من الدموع داخل مقلتيها، ولم تجد حلًا سوى إخباره، ارتعشت شفتيها ببكاء ثم بدأت بالحديث:

_أنا.. أنا مش عايزة أظلمه معايا.

قطب جبينه وهو يسألها بإستفهام:

_تظلميه في إيه بالظبط!!

أجابته بتردد:

_أنا.. أنا لا إنجابية يا عمو.

رد عليها ببلاهة شديدة وهو يقول:

_بتتكاثري لوحدك ولا إيه مش فاهم!!

أعادت تكرير جملتها على مسامعه وهي تُصحح له:

_لا إنجابية.

خشى ما إن كان ما يُفكر به صحيحًا، لذلك رد بحماقة أشد:

_لا إرادية!!

_يا عمو لا إنجابية.

قالتها بنفاذ صبر، فأجابها بتخوف وكأنه ينفي لذاته ذلك المغزى من الحديث:

_فول وطعمية!!

_يـــــوه، لا إنجابية يا عمو يعني أنا مش بخلَّف.

صمت «فارس» وصمتت هي، تُتابع تعابير وجهه التي لم تتغير، تعلم كُل ما يدور برأسه، فهو في النهاية أب ويحتاج إلى أحفاد، أنزلت وجهها تُخفي دموعها التي تشكلت مرة أخرى، شعرت بيده تمتد لوجهها لترفعه، ثم استمعت لحديثه الحنون:

_عرفتي منين!!!

أجابته بتردد وخجل:

_عملت تحاليل ولما جبتها الدكتور قالتلي إني مش هعرف أخلف، مصدقتهاش ورُوحت عملت تحليل واتنين وتلاتة

عند كذا دكتور وفي الآخر بتكون نفس النتيجة ونفس الكلام، وهي إني مش هخلف.

انهت حديثها وهي تشهق ببكاء مرير مُردفة بحشرجة:

_عُدي يستاهل الأحسن يا عمو، أنا مش عايزة أظلمه معايا، أنا...

قاطعها بهدوء:

_لازم تقولي لعدي عن كل حاجة، وهو وقتها اللي يقرر لو عايز يفضل معاكِ ولا لأ، وخليكِ متأكدة وواثقة من نفسك، متكونيش ضعيفة، أي بلاء ربنا بيبتلينا بيه بيكون إختبار لينا في الدنيا، والدنيا فانية، عيشي حياتك وعيشي سِنك واعملي اللي عليكِ وسيبي الباقي على ربنا.

هل تعلمون تلك الطمأنينة التي تهبط على الفؤاد فجأة عند الإستماع لما يسلب منك تلك الطاقة السلبية التي تكمن في صدرك!! شعرت بها هي بعد إنتهائه من حديثه، اقتربت منه مُرددة له بإمتنان:

_شكرًا يا عمو، شكرًا بجد.

قبَّلها من جبينها بحنان، ثم أردف بمزاح:

_يلا امسحي دموعك وروحي شوفي الواد الحيلة اللي طفشتيه راح فين.

ضحكت بخفة وهي تمسح دموعها، ثم خرجت من المنزل هابطة للأسفل تجول ببصرها في الأنحاء في نية لإيجاده، ستُخبره بكل شئ اليوم، وهو سيُقرر.

_آه ياني يا مراري.. يا دماغي ياما.. آه منك لله يا ابن الوارمة.. اللهي تتشك في جنابك يا بعيد.. اللهي يجيلك حصبة في زورك.. اللهي يجيلك شلل في مناخيرك.. آه الدنيا بتلف برجلي يا ناس.

صعدت تلك الكلمات المُولولة من فم «سليمان» الذي قاموا بتقطيب رأسه نتيجة لذلك العِراك الذي حدث بينه وبين ذلك الرجل عديم الرحمة والإنسانية! والمُمرضة تُحدجه بسخط نتيجة لذلك الصداع الذي سببه لها منذ أكثر من ساعة كاملة، ساعة وهو يُولول كالنساء!

دخل كُلًا من «محمود وميران» اللذان جاءا للتو، ومعهم جاء «موسى» الذي رآهم يدلفون للمشفى وعلم منهم ما حدث فقرر مرافقتهم، هرولت له «ميران» التي تحدثت بفزع:

_سليمان يا حبيبي مالك!!!

وضع يده على رأسه ثم أردف بتحسر:

_شوفتي اللي جرالي ياما!! شوفتي اللي حصلي ياختي!!

جاورته «ميران» جالسة على الفراش وهي تكادُ تبكي:

_عملوا فيك إيه يا عين أمك!!

_ضربوني ياختي، ضربوني ومحدش سمَّى عليا، استغلوا وحدتي وإني طيب وغلبان يامـا.

وقف «محمود» على الناحية الأخرى ثم أردف بقلق:

_مين اللية‌عمل فيك كدا!!

أجابهم وهو يشعر بالدوار يُداهمه نتيجة لتلك المحاليل المُعلقة بمعصمه:

_ناس جزارين زعقت لإبنهم قاموا جايين ليا ومعاهم الشوم، الحمد لله يارب إنهم مجابوش سكاكين، الحمد لله، أنا خلاص هفتح مطعم وأبيع فول وطعمية بكرامتي، الصيدلة دي مش بتأكَّل عيش.

وجَّه «موسى» حديثه إليه وهو يُردف بسخرية:

_وأنت مدافعتش عن نفسك ليه يا ضنايا!!

توقف «سليمان» عن الولولة، ثم حدجه بإستغراب قبل أن يتحدث بتعجب:

_وهو أنا المفروض كنت أدافع عن نفسي!!

وجهَّ «موسى» حديثه إلى «محمود» الذي يُحدج ابنه بحنق، قائلًا بسخط:

_وكسة على ابنك وعلى ابني يا محمود.

أكد له «محمود» على حديثه، متشدقًا بقنوط:

_خِلفة تِعِر.

أعطى «محمود» للممرضة بقشيشًا، ثم نظر لـ«موسى» متحدثًا بهدوء:

_يلا تعالى هاجي معاك أطمن على إسحاق وبعدين هاجي هنا تاني.

أومأ له بموافقة، ثم خرجا من الغرفة، تاركين «سليمان» مع والدته، والذي أردف وهو يُشير إلى الباب حيث خروجهم:

_شايفة جوزك سابني ومشي إزاي!!! أنا عملت إيه لكل دا!!!!

قبل قليل.. كان «إسحاق» مُمدد على الفراش شارد في ملكوته، يُفكر بها هي، لا يستطيع إخراجها من بين جنبات عقله، رغم أنها تحب آخر إلا إنها مازالت تسكن قلبه، يُحبها بكل جوارحه، عاشقًا لأنفاسها التي تُحييه.

فاق من شروده على صوت الباب الذي يُفتح بهدوء، وكأنها خرجت من أفكاره لتتجسد أمامه في صورة حية، قطبت «حور» جبينها بضيق بعدما دلفت للداخل، ثم دبدبت على الأرض السيراميكية بضيق:

_هو أنا معرفش أخضك مرة!!

حاول السيطرة على عيناه التي تلتهمها، ثم أردف مازحًا:

_أنتِ اللي هبلة يا بيبي، وبعدين أنا بحس بيكِ قبل ما تظهري قدامي.

غمزت بعيناها بمشاكسة، قائلة بمزاح قبل، أن تجلس على المقعد الذي بجواره:

_يا واد يا حساس أنت، قولي إيه اللي خرشمك كدا!!

تجعد جبينه بضيق، ثم صاح بحنق:

_طيب متقوليش مين اللي خرشمك، دا أنا مِسكت العيال نزلت فيهم طحن، سبتهم بس عشان صعبوا عليا.

_مصدقاك يا غالي، الجواب باين من عنوانه.

قالتها وهي تُشير إلى جروح وجهه الظاهرة، مُحاولة بصعوبة أن تكتم ضحكاتها، لكنها لم تستطيع.

رفع حاجبه بإستهجان، ثم سألها بترقب:

_أبوكِ عارف إنك هنا!!!

أكدت له بنعم قبل أن تُجيبه:

_أيوا.. عمو ريان فضحك وقالنا إن فيه شوية عيال اتلموا عليك وطحنوك، فأنا قولت لبابا إني هرجع من الجامعة عليك وهما هيجوا كمان شوية.

كز على أسنانه بغيظ من حديث «ريان»، لقد افتُضح أمره وانتهى الأمر.

حمحم بجدية ناظرة له بترقب، قبل أن تقول بتردد:

_إسحاق عايزة أقولك حاجة.

لاحظ توترها، لذلك أردف بمشاكسة للتخفيف عنها:

_قولي حاجتين مش حاجة واحدة.

فركت يدها بتوتر، ناظرة له:

_أنا.. أنا حاسة بالذنب من اللي عملته مع مدثر ولوچي، أنا مكنتش أعرف إن لوچي سمعاني وأنا بعترفله، حاسة إني حقيرة أوي بعد. ما رخصت نفسي وأنا عارفة بحبه ليها، ضميري مأنبني وعايزة أعتذر ليهم بس خايفة يفهموني غلط.

تبسم ثغره تلقائيًا من عفويتها، آه لو تعلم كم آلمه قلبه عندما اعترفت بحبها لصديقه، وكأن فؤاده تفتت لقطع صغيرة دُهست تحت قدمها بلا رحمة، تحدث بحنان وهو يتمعن النظر لوجهها:

_أنتِ مش رخيصة يا حور، أنتِ طول عمرك غالية، يمكن كان تصرف طايش من شوية بس أنتِ عرفتي غلطك،

مفيهاش حاجة لو اعتذرتي، مدثر مش هيمانع، وخطيبته كمان ممكن تكون مضايقة بس مع إصرارك هتسامحك صدقيني.

طالعته بإمتنان لم ينطقه لسانها، فكانت إجابته ابتسامة طفيفة زينت شفتيه، وهُنا نطق بما ينطق به قلبه:

_طيب بما إن الحوار دا عدَّى عليه شهرين، لسه بتحبي مدثر.

فكرت قليلًا فكان صمتها مُقلقًا بالنسبة له، لكنها أجابته بإبتسامة هادئة:

_لأ مبقتش أحبه، حاسة إن اللي كنت فيه كان طيش، أنا كنت بحب مدثر من حوالي سنة، يمكن أُعجبت بتصرفاته وخفة دمه، لكن مش دي الأسباب المُقنعة اللي تخليني أحبه.

ولاإراديًا وجد نفسه ينطق بسعادة جلية:

_يسلم فُمك، أهو دا الكلام ولا بلاش.

قهقهت عاليًا ولا تعلم لما نظراته لها مُختلفة، لاحظتها منذ فترة لكنها كانت تتجاهلها، والآن هي واضحة للعِيان، انشغلت بالحديث معه والحديث عن أحواله وعن تلك

الأمور، حتى أخذهم الوقت سريعًا، وهو كان أكثر من مُرحب بوجودها.

أخرج «مدثر» هاتفه من جيب بنطاله، طالبًا أحد الأرقام، وبعد عدة ثواني جاءه الرد بصوت رزين:

_ألو!!

هُنا تحدث «مدثر» بخبث شديد وعيناه تلتمع بالمكر:

_«سليم يزن الراوي».. مش عايز ترجَّع أيام الشقاوة تاني ونطلع طلعة من اللي قلبك يحبها!!!

أتاه الرد بنفس الخبث والمكر وبسمة شريرة تُزين ثغره:

_أنا أكثر من مُرحِّب عزيزي.

«يُـتْـبَـعْ»

#جنون_تحت_السيطرة.

|شروق حسن| ❤🦋

«جنون تحت السيطرة»

«الفصل الثالث»

_واحد اتنين تلاتة أربعة... أنا في الغرام أنا دايبة صبابة.. ياما في الغرام والعشق غلابة.. بت يا «ميادة» أرقصي كويس، كدا هتخسري في المسابقة.

هتفت «إهداء» بتلك الكلمات تُعنف ابنتها التي تبلغ من العمر الواحد وعشرون عامًا، ثم أشارت إلى شقيقتها التوأم قائلة:

_شايفة زينب بترقص إزاي!! اتعلمي منها ما بلاش الرقص اللي يجيب المغص دا.

توقفت «ميادة» عن الرقص وهي تتأفف بنفاذ صبر، ثم قامت بفك تلك العقدة التي حول خصرها لتحديده، رامية إياها أرضًا بضجر، ثم تحدثت بسخط بعدما صعدت على الفراش لتجلس عليه:

_أنا زهقت يا ماما، وبعدين قولتلك أنا مبعرفش أرقص أساسًا، هي عافية!!

تخصرت «إهداء» في محلها، ثم أشاحت بيدها بعصبية:

_آه يا عين أمك هي عافية وبمزاجي، مش أنا أمك!! مش أنا اللي شِلتك في بطني تسع شهور!! مش أنا اللي رضعتك وأكلتك ولبستك لحد ما كبرتي وبقيتي شحطة!! يبقى من واجبك إنك تسمعي كلامي.

قلبت «ميادة» عيناها بملل من كلمات والدتها المُتكررة، والتي ترميها على مسامعهم منذ أكثر من عشرون عامًا، كأنها تقوم بإذلالهم!! تقدمت «زينب» من والدتها مُردفة برقة وهي تلوك العِلكة بفمها:

_خلاص يا مامي سبيها براحتها، مسيرها تتعلم في يوم من الأيام.

حدجت «إهداء» ابنتها «ميادة» بسخط، وكادت أن تتركها وتذهب؛ لكن هناك فكرة خبيثة جالت بعقلها وعليها التنفيذ، رسمت تعابير حزينة على وجهها، ثم اقتربت منها حتى جلست أمامها على الفراش، قائلة بنبرة حنونة وحزينة بذاتِ الوقت:

_يا بنتي اسمعي كلامي أنا أمك وعايزة مصلحتك، عايزة أشوفك حاجة كبيرة في يوم من الأيام، عايزاكِ تكوني رقاصة قَد الدنيا!

_يا مصيبتك يا شهاب!!

هكذا تمتم «شهاب» والذي جاء للتو ليستمع إلى كلمات زوجته المصون وهي تُشجع ابنتها لتعلُم الرقص، دلف للغرفة مقتربًا منهم، ثم جالت عيناه على ثيابهم، والتي كانت عبارة عن بدلات رقص أصيلة تكشف عن أجسادهم بسخاء، فاق من صدمته مُوجهًا حديثه لـ«إهداء» المُمتعضة:

_بقى هي دي تربيتك لعيالك!! عايزاهم يبقوا رقاصات!!

نفت برأسها بقوة قائلة:

_لأ طبعًا رقاصات إيه!! دي هي مسابقة رقص اللي هيشتركوا فيها وهتبقى على المسرح بس، لكن مفكر إني هخلي بناتي يرقصوا في كباريه!!! لأ يا عم استغفر الله.

جعد وجهه بتأثر زائف مُجيبًا إياها:

_لأ استني هعيط، أخلاقك أحرجت أهلي واللهِ، مش عايزاني ألملكوا النُقطة بالمرة!!

كادوا أن يُجيبوه، لكنهم انتفضوا فجأةً من صراخه عليهم والذي هزَّ الأرجاء:

_يلا يا بت أنتِ وهي غيروا المسخرة دي، ولو شوفتكم لابسين اللبس دا تاني أنا هعلقكم بيه من رقابكم الحلوة دي.

ارتعدت فرائسهم من عصبيته وتصنمت أجسادهم محلها ولم يتحركوا قيد أنملة، لذلك صرخ بصوت أشد:

_قولت يـــــلا.

هرولوا من أمامه مُسرعين، وجاء دور «إهداء» للخروج، لكنه منعها من ذلك مُغلقًا الباب مُسرعًا قبل أن تخطو خُطوة واحدة خارج الغرفة، ثم حدجها بخبث قائلًا بإبتسامة ماكرة:

_كنتِ بقى بتعلميهم يرقصوا إزاي!!

_وبس يا سيدي هو دا كل اللي حصل.

هكذا أردف «مدثر» الذي كان يستند على سيارة «سليم الراوي»، وهو يُمسك ببعض الأحجار الصغيرة ليقذفها بعيدًا.

لوى «سليم» شفتيه بإستهزاء، قبل أن يقول بسخرية:

_يعني انتوا اللي غلطانين، وضربتوا العيال، وضايقتوهم، وزعلان إنهم ضربوا إسحاق!! دا أنا مشوفتش في بجاحتك أنت وهو.

تأفف «مدثر» وهو يلتفت له قائلًا:

_احنا نضرب آه، لكن نتضرب لأ.

نظر له «سليم» من طرف عينه ولم يُجيبه، وبعد ثواني تشدق بجمود:

_ما تجيب من الآخر يا مدثر وقول إيه السبب الحقيقي، كل اللي حكيته دلوقتي دا مدخلش دماغي بتعريفة.

علم أن لا مفر منه، لذلك تحدث «مدثر» بهدوء ناظرًا أمامه بغموض:

_موضوع يخص إسحاق، والعيال دا جُم على اللي يخصه.

علم «سليم» ما يرمي إليه، يبدو أن في الأمر فتاة، وهي السبب بكل ذلك:

_بنت يعني!!

هزَّ رأسه يؤكد له قائلًا ببسمة خفيفة:

_وتخصه أوي، والعيال دول ضايقوها في الجامعة.

عدَّل «سليم» من ياقة ملابسه ثم نظر له غامزًا إياه:

_لأ طالما تخصه أوي يبقى تخصنا احنا كمان.

ضرب «مدثر» كفه بكف الآخر مُهللًا بصياح:

_هو دا الكلام يا زميل.

قهقه «سليم» عاليًا وشاركه «مدثر» في الضحك، فاستدار كلاهما للصعود إلى السيارة، مُجهين بها إلى وجهتهم الغامضة، لكن.. إلى أين يا تُرى!!!

صعد «ريان» إلى منزل عائلة «غزل»، مُمسكًا بتلك الأشياء التي أملاها عليه «موسى»، والتي من المفترض أن تكون (ورد وقالب من الحلوى).

طرق على جرس الباب وانتظر لثوانٍ حتى فُتح وظهر من خلفه «إبراهيم» والذي استقبله بإبتسامة واسعة، ثم أردف له بترحيب:

_تعالى يا ريان اتفضل.

دلف «ريان» للداخل ودار بأنظاره في المكان للبحث عنها، قاطعه «إبراهيم» مُشيرًا بتعجب شديد لما يحمله:

_إيه اللي أنت جايبه معاك دا!!!

كاد أن يُجيبه؛ لكن قاطعه خروج «غزل» ووالدتها من المطبخ يحملان الصحون المُمتلة بالطعام، طالعته بإمتعاض ثم مرت من جانبه واضعة الطعام على الطاولة، ثم استدارت له مُحدجة إياه باستغراب، قبل أن تقول وهي تُشير للأشياء التي يحملها:

_إيه اللي أنت جايبه دا!

اتسعت ابتسامته، ثم اقترب منها وهو يمد يده لها:

_كنت عايز أجيبلك ورد بس لقيت المحل قافل، فلقيت راجل عجوز بيبيع قرنبيط شبه الورد وجبتهولك.

تجمد وجهها وهي تُحدجه باستنكار شديد، بينما خفتت ابتسامته وهو يسألها بترقب:

_إيه الهدية معجبتكيش!!

لم تُجيبه؛ بل ظلت على حالة الجمود التي تلبستها، ابتلع ريقه بتوتر ثم مدَّ يده الأخرى الحاملة لحقيبة سوداء بلاستيكية، ثم تشدق بقلق:

_طيب متزعليش، جبتلك معاها سردين علشان ناكل سوا.

ضرب «إبراهيم» كلتا يديه ببعضهما، ثم أردف بيأس موجهًا حديثه لإبنته قبل أن يذهب هو وزوجته من أمامهما:

_قولتلك زمان بلاش تتجوزي الأهبل دا أنتِ اللي صممتي.

بعد ذهابهما وتركهم على راحتهم؛ حدج «ريان» زوجته بترقب علَّها تنطق ولو بكلمة واحدة:

_مالك يا غزالتي!!

نفضت يده ناظرة إليه بضجر، وحديثها أعكس حنقها:

_جايبلي قرنبيط وتقولي ورد!!!

كاد أن يتحدث، فقاطعته قائلة:

_أنت بتهزر يا ريان!! مكنتش أعرف إن دي قيمتي عندك.

شعر بتأنيب الضمير وهو يُلاحظ حزنها منه، اقترب منها بعدما وضع الأشياء أرضًا، ثم أحاطها واضعًا رأسها موضع قلبه:

_قيمتك غالية أوي عندي يا غزل، حتى أغلى من حياتي.

وهل قُلت بأنها حزنت منه!! حسنًا.. إن قلت ذلك؛ فلقد تبدد كل هذا الحزن الآن وكأنه لم يكن، تُقسم بأنه يستطيع بنظرة واحدة أن يجعلها تخضع له وتُسامحه.

وبينما كانت هي شاردة في حنانه الذي يحتويها؛ ظن هو بأنها مازالت حزينة، لذلك أخرجها من أحضانه ثم قبَّل جبينها بحنو:

_خلاص متزعليش حقك عليا، من بكرا هاخدك أفسحك وأخرجك خروجة حلوة لأجل عيونك.

اتسعت ابتسامتها بسعادة، قائلة بفرحة:

_بجد يا ريان!؟

غمز لها مُشاكسًا وهو يُجيبها:

_بجد يا عيون ريان.

ثم ابتعد عنها مُمسكًا بالكيس البلاستيكي متشدقًا بحماس:

_خدي بقى اعملي لينا أكلة سردين حلوى من إيدك القمر دي.

هزَّت رأسها بيأس من تصرفاته، ثم أخذت منه الطعام مُتجهة به إلى المطبخ لتعده له، وذهب هو خلفها مُشاكسًا إياها وهو يُدندن:

_يا غزال يا غزال، حلاوتك يا غزال.

قهقهت بمرح وما كادت أن تتحدث؛ حتى قبَّلها على وجنتها بمشاكسة، قائلًا بعشق تمكن من فؤاده:

_لو مهما مَر العُمر هتفضلي دايمًا في قلبي.

_جاهز يا شقيق!!

_جاهز يا زميلي.

قالها «سليم» غامزًا لـ«مدثر» الذي يُشمر عن ساعديه، بعدما لمح حِفنة الأوغاد الذين اعتدوا بالضرب على صديقهم «إسحاق» يستندون على سيارة سوداء تعود لشخص منهم، تقدما منهم ببطئ يُتلِف الأعصاب، مُمسكين بأيديهم عصى خشبية شديدة القوة، لمح الآخرون تقدمهم؛ فوقف ذلك الجالس على صفيح السيارة، بعدما رمى سيجاره، وبعينه يلتمع الوعيد، ووقف خلفه ثلاثة من أصدقائه المُتأهبين للشِجار.

لوى «أشرف» شفتيه بإستهزاء وهو ينظر حوله بسخرية:

_إيه دا انتوا جايين لوحدكم!!

أجابه «مدثر» بنفس الطريقة المُستهترة:

_سلامة النظر يا حبيبي، لو مش شايف قولي وأنا أدلك.

أثارت كلماته حنقه، وذلك لإحراجه أمام أصدقائه والذي يُعتبر هو كبيرهم من بينهم، كاد أن يُجيبه بسبة بذيئة؛ إلا أن «سليم» قاطعه متشدقًا بعتاب وهو ينظر نحو «مدثر»:

_تؤ تؤ يا مدثر، ليه كدا يا صديقي!! أنت عارف إن ليس على المريض حرج، واحنا مش جايين عشان نذله، احنا جايين نربيه خمساية بس وهنرجع تاني.

أنهى «سليم» كلماته المُهينة، ثم هبط بالعصى على يد الآخر، والتي تجرأ أن يضرب بها صديقه، هجم عليه أصدقائه من الخلف، لكن «مدثر» لم يقف صامتًا، بل جعلهم ينالون قِسطًا من تلك العصى التي بيده، جاعلًا إياهم يولولون كالنساء من شدة الضربات التي نالتها أجسادهم الحقيرة.

تجمعت المارة حولهم، ومنهم مَن حاول فض التشابك بينهم، وبالطبع كان «مدثر وسليم» هم المُسيطرين على

الوضع، توقفوا عن ضربهم وصدورهم تنهج بشدة من ذلك المجهود المضني الذي فعلوه، مسح «مدثر» جبينه من العرق الكثيف، وكاد أن يذهب؛ لكنه عاد أدراجه حيث يقبعون يصرخون من الألم، ثم هبط لمستوى «أشرف» مُمسكًا إياه من ياقة قميصه، ثم همس إليه بشر:

_اللي يجي ناحية حد يخصني أدبحه.

وبعدها دفعه بعيدًا ناظرًا إليه بإشمئزاز وكأنه نكرة، ثم ذهب هو و«سليم» الذي كان يُتابع موقفه الأخير بإبتسامة شامتة مُستهزأة، نظرا لبعضهما ثم ضربا بكفيهما معًا، تبعه حديث «مدثر» المُشاكس:

_اخويا الصاصا.

فرد عليه «سليم» بضحكة عالية:

_اخويا الطيخا.

لحظة الخذلان تكون قاسية كالجليد، تهبط على قلبك فتُحطمه مُفتتة إياه لأشلاء صغيرة، أشلاء كانت مُمزقة من قبل وكانت تنتظر خلاصها وترميمها، لكن جاءت اللحظة الغير متوقعة لإنهاءه كُليًا.

جلس «عدي» في مكانهم المُعتاد أمام البحر، شرد به وعقله لا يتوقف عن العمل، التفكير سيُهلكه، بل كاد أن يُجن، لِما قالت ما قالته!! هل كرهته لتلك الدرجة لكي تُطالب بطلاقها!! هل هو أصبح السئ الذي لا يُطاق!! هل أغضبها بإهتمامه الزائد بها!! لا يعلم أي إجابة واحدة على أسئلته.

حدق بزرقة المياه الحالكة، عميقة تُشبه حال قلبه التائه الآن، تتصارع مواجاتها كما يُصارع قلبه للنبض في تلك اللحظة، يشعر به يكاد أن يتوقف من شدة آلامه، وعلى حين غُرة هبطت دمعة حارقة على وجنته، هو يعشقها ولا يستطيع الإبتعاد، قلبه يئن يحثه على الذهاب إليها وسؤالها مرة أخرى، وعقله يمنعه من الإسترسال.

شعر بأنامل رقيقة تمسح دمعته برفق، رفع نظره فوجدها هي، صاحبة ذلك الألم الذي يجتاحه، كاد أن يتحدث ويقسو عليها؛ لكن شهقاتها العالية وبكاؤها منعه من الحديث بتاتًا، وقف من مكانه حتى أصبح يُواجهها، وما كاد أن يتحدث حتى وجدها تندفع لأحضانه تتوق خصره بقوة، تبعها حديثها المُترجي:

_أنا أسفة، بس متسبنيش، أنا عيلة ومش قد كلامي ومقدرش أعيش من غيرك.

يقف الآن حائر لا يعلم ما عليه فعله، لقد تشتت كُليًا، فتارةً تُخبره برغبتها في الطلاق، وتارةً أخرى تتشبث به كالطفلة الصغيرة لا تريد تركه، وها هو مُذبذب الآن، رفع يده ببطئ ثم أحاطها، أغمض عينه يشعر بها وبإنفعالاتها، يخشى ذهابها وأن يكون كل ما يراه الآن ما هو إلا تخيلات من عقله الباطن، لكن حديثها الذي قطع تفكيره أكد له بواقعية الحدث:

_عدي، والله العظيم كل كلمة طلعت مني كانت من ورا قلبي، أنا مش بكرهك أنا بحبك، مقدرش أعيش من غيرك، مش عايزة أتطلق، عايزة أفضل معاك طول عمري، بس.. بس أنا خايفة.

_خايفة من إيه!!

سألها بعد أن أخرج وجهها من بين أحضانه، ناظرًا لكل إنش بوجهها يتأمله عن قُرب، ليخرج صوتها المتحشرج ببكاء قائلة:

_خايفة تسيبني.

أغبية تلك أم ماذا!! ألا تعلم أن بُعادها يقتله!! وقُربها يُهلكه!! فلا يجد الراحة في البُعد أو القُرب، مُعذب في كِلتا

الناحيتان، ورغم ذلك مازال مُتشبث بها رغم أنف الجميع، مسح دمعاته بحنان مُتسائلًا برقة:

_وهسيبك ليه!! هو فيه حد يقدر يبعد عن روحه!!

خرجت من أحضانه وهي تفرك يدها بتوتر بالغ، تتلاشى النظر لعيناه ورغبتها في البُكاء والإنفجار تتزايد بقوة، لاحظ هو تشنجات وجهها الواضحة، وللحقيقة شعر بالقلق، خرج صوت «منار» باكيًا رغم كل محاولاتها بالثبات:

_أنا.. أنا مش بخلف يا عدي.

وهُنا كانت الصدمة، علم سبب تغيرها المفاجئ ورغبتها في الطلاق، ورغم حزنه في تلك اللحظة؛ لم يُطيل الصمت حتى لا تظن بأنه يُريد تركها، لذلك اقترب منها مُحيطًا وجهها بحنان:

_وهو دا السبب التافه اللي خلاكي تطلبي الطلاق!!

رفعت أنظارها تُحدجه بدهشة وصدمة رُسِمت على محياها، كانت تتوقع أن يحزن، يغضب، يثور، أو على الأقل أن يتركها ويذهب، لكنه عكس كل توقعاتها بحديثه الذي رمم فؤاده، استرسل حديثه قائلًا بعتاب:

_عيبك إنك غبية ومتعرفيش قيمتك في قلبي، رغم إني حاولت بكل الطُرق إني أحسسك إنك أغلى حاجة في حياتي،

لكن برضه مقتنعتيش، أنا مش عايز أطفال، هعتبرك بنتي اللي مخلفتهاش، وهتبقي مراتي حبيبتي وضهري، وأمي اللي سنداني في عِز وجعي، أنا بحبك عشان أنتِ منار، مش عشان هتبقي أم لأولادي بعدين.

ارتعشت شفتيها ببكاء لا تُصدق ما تسمعه، لذلك سألته بتأكيد:

_بـ.. بجد يا عدي!!

قبَّل جبينها بعاطفة جياشة، ثم احتضنها بعشق وصوته يعكس مدى حبه بها:

_بجد يا روح وقلب عدي، أنا بحبك ومقدرش أستغنى عنك، ولو في مرة حصلت مشكلة معاكِ هكون أول واحد واقف في ضهرك.

أحاطه سعيدة بما ألقاه عليها، ثم تحدثت بإبتسامة عاشقة:

_أنا بحبك أوي.

_وأنا بموت فيكِ.

وصلت عائلة «أبو زيد» وكذلك عائلة «النويهي» بعدما علموا بإصابة فردين من العائلة، كذلك نُقِل «سليمان» إلى نفس الحجرة التي يقبع بها «إسحاق» بعد طلب وإلحاح كبير منه.

حدجهم «ريان» بإستنكار وهو يُمصمص على شفتيه:

_وكسة على تربيتك يا موسى أنت ومحمود، مخلفين عيال نُص كُم.

نظر له «موسى» بسخط، ثم نظر لإبنه قائلًا بحنق:

_عاجبك كدا يا فالح!! أهو شمت فينا ريان.

في تلك اللحظة.. دلف «مدثر وسليم» معًا، مُستمعين للحديث الأخير بـ«موسى»، فأحاط «مدثر» بكتف أبيه قائلًا بمشاغبة:

_وماله ريان يا سي موسى!! دا حتى قمر وبسمسم أهو.

ربت «ريان» على صدر ابنه ناظرًا له بفخر، تبعه قوله المتأثر:

_ابني وضهري وسندي.

حدجهم «موسى» بإستنكار، ثم عاد بنظراته المُشمئزة تجاه ابنه المُتسطح، متمتمًا له:

_خِلفة تعر وتجيب الفقر.

جعد «إسحاق» جبينه بضيق ناظرًا لـ«مدثر» بغيظ:

_عاجبك كدا ياخويا أنت وأبوك!! جايين تجيبوا ليا الكلام!!

كادوا أن يُجيبوه، لكن قاطعهم صوت تأوه «سليمان» وهو يُمسك برأسه:

_آه يا دماغي ياني.. يا خرابي على شبابي.. دماغي هتنفجر يابا.. هتولي دكتور.. فيه ناس بتصوت في مخي يلهـــــوي.

وقفت بجانبه «غزل» تنظر له بتأثر، ثم ربتت على كفه قبل أن تقول بحنان:

_معلش يا حبيبي، منهم لله اللي عملوا فيك كدا، أنت عشان بس طيب وغلبان اتكاتروا عليك.

توقف عن الولولة، ناظرًا لها بعين واحدة:

_لأ هو واحد بس اللي عمل فيا كدا.

أكدت على حديثها رغم ذلك متشدقة:

_يبقى غلبان وأهبل مفيش مشكلة يا ضنايا.

تركت «ميادة» مكانها جانب والدها، ثم التفت حول فراش «سليمان» قائلة له برقة:

_ألف سلامة عليك يا سليمان.

أجابها بإبتسامة بشوشة:

_الله يسلمك يا ميمو، أومال فين أختك!!

انمحت بسمتها بعد سؤاله عن شقيقتها، ثم أجابته بنبرة مُهتزة تعكس آلامها:

_تحت كانت بتجيب حاجات وجاية.

حدجتها «لوچي» بحزن لمعرفتها بحب «ميادة» لـ«سليمان» والذي لم يُلاحظ بعد، ذهبت لتقف بجانبها مُمسكة بيدها بمؤازرة تشد من مؤازرتها، ثم رمت لها بسمة طفيفة داعمة، عضت «ميادة» على شفتيها تمنع ذاتها من البكاء، تشعر بوجود مشاعر ما بين شقيقتها و«سليمان»، وإن حدث ذلك ستنهار بالتأكيد.

في تلك الأثناء دلفت «زينب» وبيدها الكثير من الحقائب البلاستيكة ناظرة للجميع بمرح، فوقع نظرها على «سليم» الذي يقف بثبات جانب «مدثر»، بعدما ألقى التحية على الجميع، صفرت بإعجاب مُبدية عن إعجابها به أمام الجميع بوقاحة:

_مُز عيلة الراوي موجود هنا بين عائلتي المتواضعة!!

لوى «سليم» ثغره مُبينًا عن ابتسامة صغيرة صعدا منه، بينما عنفها «شهاب» صارخًا:

_بت!!! أنتِ اتجننتي!! مش ماليين عينك ولا إيه!!

مطت «زينب» شفتيها بضجر نافخة بسخط، ثم دلفت واضعة الحقائب بين الفراشين الخاصين بـ«إسحاق وسليمان»، تلاها قولها المُتذمر:

_في إيه بس يا بابا الله!! وبعدين ما هو اللي كل أوفر يعني.

مال «محمود» على أذن «ميران» قائلًا بمشاغبة:

_البت دي المفروض تكون بنتك، دي مشافتش تربية.

رفعت حاجبها بإستهجان مُجيبة إياه:

_قصدك إني مكنتش متربية!!

تصنع الصدمة متحدثًا:

_استغفر الله العظيم!! مين اللي قال كدا دلوقتي بس!!

حدقته بغلظة ثم تجاهلته مُتابعة ذلك الشجار بين الأب وابنته والذي كاد أن يحتدم بسبب وقاحة «زينب» التي لم تنتهي، لذلك قرر «مدثر» التدخل مُهللًا بصياح:

_كبرتوا الموضوع والله يا جماعة، سليم أصلًا كتب كتابه الأسبوع الجاي.

نظرت إليه «زينب» بصدمة قائلة دون وعي وهي تُوجه حديثها لـ«سليم»:

_عشمتني وخليت بيا يابن الغدارة!!

بادلها النظرات ببرود، ثم أردف بتهديد مخفي خلف حديثه:

_تعرفي لولا إن والدك وعيلتك واقفين أنا كنت خرستك خالص.

ابتلعت ريقها بتوتر من نظراته المتوعدة، فاستمعت إلى صوت «سليمان» المرح يهمس لها:

_أحسن أحسن، عشان أنتِ مُهزقة.

حدجته بسخط واضعة أصابعها على جُرح رأسها تضغط عليه بخفة:

_اسكت أنت خالص بدل ما أخرشملك وشك مع دماغك الحلوة دي.

تأوه «سليمان» بقوة واضعًا يده على رأسه موضع ضغطتها وهو يصرخ:

_آااه منك لله يا مفترية يا بنت الظالمين.

هرولت إليه «ميران» بخوف جالسة بجانبه، ثم احتضنه ناظرة لـ«زينب» صارخة عليها بشراسة:

_منك لله يا مفترية يا ظالمة، مالك أنتِ بإبني البسكوتة، هو عشان أهطل ولا بيهش ولا بينش تستهيفوه كدا!!

خرج «سليمان» من أحضان والدته ناطقًا بصعوبة:

_روحي ياما لبابا عايزك في كلمتين، أنا مش ناقصك الله يكرمك.

قهقه الجميع بمرح على تلك المشاكسة التي تحدث بين أبناء العائلة، عائلتهم المرحة تصنع جوًا مُريحًا يبث الإطمئنان للأنفس، وهذا ما يحتاجه الجميع، جو أُسري مليء بالمحبة لا البُغض.

مرَّ اليوم بسلام وجاء اليوم الذي تلاه، فتجمع الشباب جميعًا بغرفة «سليمان وإسحاق»، تجمع «مدثر وسليم وعدي وسليمان وإسحاق» يتحدثون بمواضيع مختلفة، حتى قاطعهم دخول «رياض» ابن عم «سليم» متحدثًا بمرح:

_أنا آخر حاجة كنت أتوقعها إني أشوفكم بالمنظر المُهين الذليل الحقير دا يا صحابي والله.

تحدث «إسحاق» بسخرية لاويًا شفتيه:

_بعد الكلام دا متقولش صحابي تاني، أنا هقطع علاقتي بيك أساسًا.

سحب «رياض» مقعدًا جالسًا جانبه مباشرةً، ثم تحدث بعتاب مصطنع:

_اخس عليك يا قاسي، ويهون عليك قلبي!!

أجابه «إسحاق» بإشمئزاز:

_جتك وجع في قلبك يا بعيد.

تحدث تلك المرة «سليمان» وهو يسأل «مدثر وسليم» ومعًا:

_ها!! برضه مش هتقولوا كنتوا فين إمبارح سوا!!

تأفف «سليم» بضجر قائلًا:

_يابني أنت ليه مصمم إن احنا كنا في مكان!!

أجابه ببساطة:

_أصل أنت ومدثر مستحيل تتجمعوا على حاجة خير أبدًا، فأنا مش هسيبكم غير ما تعترفوا.

لم يجدا مهربًا من الحديث، لذلك روى لهم «مدثر» ما فعلوه كاملًا من ضربهم لهؤلاء الأوغاد، وإتيانهم بحق «إسحاق» المُستبد.

انتفض «إسحاق» من مكانه موبخًا إياهم بعصبية:

_انتوا بتقولوا إيه!! انتوا بتستهبلوا!!!

أكد «سليمان» على حديثه من فعلتهم المتهورة والتي كانت من الممكن أن تقضي عليهم لكثرة عدد الآخرون:

_قولهم.

ليسترسل «إسحاق» توبيخه بهم بعصبية مفرطة:

_كنت عايز آجي معاكم.

_قولهـ.. إيـــه!!

نطقها بصدمة، ثم أكمل قائلًا:

_أنت أهبل ياض ولا مرضعينك برسيم!! هو إيه اللي كنت عايز تروح معاهم!!

هُنا وتحدث «عدي» حانقًا:

_طيب مكلمتونيش ليه!! انتوا عارفين إني بحب الخناق.

غمز له «رياض» بمكر قائلًا:

_هيبقى فيه خناقة تانية يا ولا بس الصبر.

حوَّل الجميع أنظارهم إليه مُنتظرين منه تفسيرًا منطقيًا لحديثه، فكان «سليم» أول من يسأله بتعجب:

_خناقة تانية!!

أكد «رياض» برأسه متمتمًا بخبث:

_أيوا خناقة، ما هو أكيد مش هتاخدوا حق إسحاق ونسيب حق سليمان الغلبان دا!!

هُنا وصمت الجميع.. وقد تكون ألسنتهم قد توقفت عن الحديث، لكن عيناهم تحدثت بالمكر والخبث، وإبتسامة شيطانية ترتسم على ثُغر الحاضرين، إبتسامة يأتي بعدها الهلاك!!!!

جاء اليوم الذي وعدها به بالتنزه سويًا، كم كان قلبها يرقص فرحًا في تلك اللحظة، ارتدت «غزل» فستانًا بسيطًا للغاية من اللون الأسود، ويعلوه حجابًا من اللون النبيذي، كم تعشق هذان اللون للغاية، انتهت من إرتداء حجابها، وما كادت أن تلتفت حتى استمعت إلى تصفيرًا حارًا يأتي من خلفها بإعجاب.

استدارت وعلى محياها يرتسم بسمة مُحبة وبعضًا من الخجل يكسوها، فرغم ما مر من سنوات كثيرة، إلا أنها تشعر بالحرج من وقاحته الدائمة معها، اقترب منها «ريان» ينظر لها بعبث وهو يقول:

_كل يوم بتحلوي أكتر من اللي قبله يا غزالتي، حتى الشعرتين البيض اللي في شعرك دول زايدينك حلاوة.

يا الله!! كم يروقها غزله بشدة، تشعر بأنها فراشة وتُحلق عاليًا معه فوق السحاب، معه هو فقط!! أخفضت بصرها مُتمتمة بصوت خفيض ترد على حديثه:

_ربنا يكرمك والله.

تجمدت ابتسامته لوهلة، فكز على أسنانها وهو يُمسكها بغيظ من كف يدها:

_يلا نمشي يا غزل بدل ما أرتكب جريمة دلوقتي.

كتمت ضحكتها بصعوبة، ثم سارت معه دون الحديث بكلمة واحدة، هبطا للأسفل ثم صعدا لسيارتهم وطيلة الطريق وهي تكتم بسمتها التي تظهر من الحين للآخر على ملامح وجهه المُمتعضة.

لاحظها «ريان» بطرف عينه، ورغمًا عنه تشكلت إبتسامة خفيفة على شفتيه قائلًا بضحك:

_قوليلي أعمل فيكِ إيه بس! بعد أكتر من عشرين سنة جواز تقوليلي ربنا يكرمك لما أعاكسك!!

صدحت ضحكاتها عاليًا تلك المرة ولم تستطيع إخفاؤها، ثم أردفت من بينها:

_يا ريان ما أنت عارف إني بتكسف الله!!

_قولي كدا الله تاني!!

ضحكت بخفة مُكررة كلمتها بغنج مقصود، ليُهلل هو بصخب:

_صلاة النبي أحســن، بقولك إيه بلاها دي خروجة وتعالي نرجع بيتنا حبيبنا.

جعدت جبينها بضيق ثم أردفت بنفي:

_لأ طبعًا هنخرج يعني هنخرج.

_طيب طيب.. يا ساتر دا أنتِ عدوة الرومانسية.

بعد نصف ساعة، كانا يقفان أمام أكبر المحلات لبيع طواجن المعكرونة والكشري في المدينة، نظرت «غزل» لـ«ريان» قائلة بريبة:

_يارب ما يكون اللي في بالي صح.

لم يُعير «ريان» لحديثها أي إهتمام، ناظرًا حوله للمكان المُزدحم بإبتسامة واسعة، ثم عاد بأنظاره لها يسألها بحماس:

_ها إيه رأيك في المُفاجأة!!

_هي دي المفاجأة بجد!!

سألته بهدوء بعدما لمحت حماسه، فهز رأسه مؤكدًا:

_أيوا إيه رأيك!!

نظرت حولها مرة أخرى فوجدتها فكرة لطيفة لا بأس بها، رسمت إبتسامة رقيقة على محياها بعدما تملك الحماس منها هي الأخرى، ثم أجابته بفرحة أسعدته للغاية:

_مفاجأة قمر من واحد قمرين أقسم بالله.

اقترب على بغتة قائلًا بوقاحة:

_ما تجيبي بوسة.

همست له بتحذير وهي تنظر حولها:

_بس يا ريان الناس هتاخد بالها.

ابتعد عنها حتى لا يُزعجها، لكن مازالت نظراته العابثة تُحيط بها، بل وتجعلها تشعر بالتوتر أيضًا، دلفا للمطعم ليجلسا على إحدى الطاولات المُتفرغة مقابل بعضهما البعض، أتى إليهم الجرسون فأملوه طلبهم، وبعد وقت قليل جاء إليهم حاملًا طلبهم ثم وضعه أمامهم، رفع «ريان» الغطاء من أمامها أولًا، ثم تحدث بحماس:

_هتدوقي دلوقتي أحلى طاجن مكرونة باللحمة.

حملت الشوكة بين يدها قائلة بضحك:

_إما نشوف يا سي ريان.

وضعت الشوْكة بالطبق ثم حملت به قطعة المعكرونة وبها العديد من قطع اللحم المفروم، تذوقته بتمهل وهو فقط ينظر إليها بإنتباه ينتظر تقييمها، أخرجت ترنيمة من بين شفتيها تُوحي بلذتها بما تذوقته، لتتسع إبتسامته بعد قولها الأخير:

_امممم لذيذة بجد.

وكأن قلبه قد ارتاح لإعترافها، فحمل شوكته هو الآخر يبدأ في تناول طعامه هو الآخر، ليمر الوقت ما بين تغزل «ريان» بها تارةً، ومرحه تارةً أخرى، وكم سعدت هي للغاية حقًا، فيكفي وجوده فقط جانبها.

انتها من الطعام، ثم خرجا من المطعم بأكمله، كادت أن تصعد للسيارة فأوقفها هو مُمسكًا بكف يدها:

_لأ استني مش هنروَّح دلوقتي، تعالي نتمشى شوية.

وافقت وكانت أكثر مُرحبة بإقتراحه هذا، سارا بجانب بعضهما يتبادلان الأحاديث سويًا، فوقف «ريان» ناظرًا للناحية الأخرى فجأة، ثم قال وهو يُشير لشخص ما:

_فيه واحد بيبيع تين شوكي هناك أهو، تعالي ناكل منه.

قفزت بسعادة ثم ذهبت معه مُسرعة حتى وصلا لذلك العجوز الذي يبيع التين الشوكي، أخرج «ريان» بعض النقود من جيب بنطاله، ثم أعطاها له قائلًا بود:

_لو سمحت يا عمي قطعلنا تين على زوقك بقى، وزي ما يجوا.

أومأ له العجوز راسمًا على وجهه إبتسامة بشوشة صائحًا بصوت عالي:

_ياما كانوا الأحباب كتير بس أحسنهم اللي بيوفي بالوعد، يا رب ديم حبهم وزوده.

نظرا لبعضهم ولمعة أعينهم تعكس مدى عشقهم، وكأن ذلك العجوز يصف حالتهم، لقد مروا بالكثير والكثير، ورغم ذلك

لم يبتعدوا يومًا، ظلت جملة ذلك العجوز تتردد في أذانهم "كانوا الأحباب كتير بس أحسن اللي بيوفي بالوعد"، وهم وفوا بالوعد، بل وحافظوا عليهم كأكسير الحياة بالنسبة لهم.

قاطع حديث النظرات صوت العجوز الذي يمد يده بما طلبوه:

_اتفضلوا يا حبايبي.

أخذه منه «ريان» بعدما أفاق من حالة الوله التي تلبسته، ناظرًا إليه بإمتنان، والرجل يُناظره ببشاشة ترتسم على وجهه المُجعد.

ابتعدا كلاهما ثم بدأوا بتناول التين الشوكي بكل حب وإستمتاع، وها قد دُونت لحظة أخرى لن تُنسى طيلة حياتهم القادمة والمُتبقية.

خرج الأربع شباب من المشفى عنوة عن جميع الأطباء، بعدما افتعلوا الكثير من المشاكل والشجارات للذهاب، فلم يجدوا حلًا سوى تركهم رغم ما بهم من كدمات وكسور شديدة، صعد «أشرف» سيارته بصعوبة وبجانبه أحد أصدقائه المُهشمين، زمن خلف صديقاه الأخران يُعانون

بنفس الطريقة، فلقد استوصى بهم كلًا من «سليم ومدثر» وضربوهم بكل غل.

تحدث أحدهم وهو يتسائل بألم:

_ها يا أشرف ناوي على إيه!! هنسيب العيال دي كدا!!

جز «أشرف» على أسنانه بحقد، قائلًا بوعيد:

_لأ أسيبهم دا إيه، ورحمة أمي لهحسرهم على واحد فيهم وهخليهم يبكوا بدل الدموع دم.

«يُـتْـبَـعْ»

#جنون_تحت_السيطرة.

|شروق حسن|

«جنون تحت السيطرة»

«الفصل الرابع»

مرَّ عشرة أيام تحسنت فيهم صحة كُلًا من «إسحاق وسليمان»، وجاء موعد فك جبيرة اليد الخاصة بـ«إسحاق»، بعدما أكد له الطبيب أن كل ما كان لديه هو مجرد خدوش عميقة قليلًا كانت تحتاج للعناية، وكذلك قام «سليمان» بفك ما على رأسه بعدما تعافى منها تمامًا.

وها قد جاء اليوم المُنتظر لمدة ثمانية وعشرون عامًا، موعد عقد قِران كُلًا من «مدثر ولوچي»، لا يُصدقان أن هذا اليوم قد جاء بعد عَناءٍ طويل، تلك السنوات التي قضوها معًا قد تبدو للجميع بأنها مجرد أيام عادية مرت، لكن بالنسبة لهم؛ قد كانت حياة.

جلس «مدثر» أمام «فارس» الذي يُمسك بكف يده، وبالمنتصف يجلس المأذون الذي سيقوم بعقد قِرانهم، كاد أن يبدأ بحديثه التقليدي، لكنه صمت عندما سحب «فارس» يده من يد «مدثر» مُتحدثًا برفض:

_لأ أنا مستحيل أجوَّز بنتي لواحد باسها وهي صغيرة.

تشنج وجه «مدثر» بإستنكار وهو يُطالع «فارس» المُربع لذراعيه، ثم تحدث بسخط:

_جرا إيه يا عمي!! أنت مش جاي تفتكر إني بوستها غير دلوقتي!!

أجابه بعناد مُشيحًا بوجهه للناحية الأخرى:

_أه.. وهو دا اللي عندي إذا كان عاجبك، معنديش بنات للجواز.

هبَّ «مدثر» من مقعده ليقف قبالته مباشرةً، ثم أمسك بيده كالطفل الصغير وهو يُتمتم:

_يلا يا عمي، يلا يا حبيبي عشان أكتب كتابي على بنتك وبعدين ابقى اعمل اللي أنت عايزه.

نفضَّ «فارس» يده منه، ثم تحدث بحدة:

_أنت كمان بتاخدني على قد عقلي!! يعني أنت مش محترمني!! طيب طلق بنتي... طلق بنتي بقولك!!

لطم «مدثر» على وجهه قائلًا بحسرة:

_وهو أنا اتجوزتها لسه عشان اطلقها!! يا عمي الله يهديك يلا.

أصرَّ «فارس» على قراره رافضًا زواج ابنته وابتعادها عنه:

_لأ يعني لأ... أنا بنتي مش هتبعد عن حضني أبدًا.

يأس «مدثر» من إقناعه بطريقة تُرضي الجميع، لذلك ذهب ليقف جانب «لوچي» المُتابعة لهم بضحك، ثم أردف يُوجه حديثه لـ«فارس» بتهديد صريح:

_هتجوزني بنتك ولا أبوسها قُدام الكل وتبقى فضيحة بجلاجل!! والله أفضحك وأبوسها ونتمسك أداب ونتحبس في زنزانة واحدة، وقتها بقى هعمل اللي أنا عايزه.

فتح «فارس» عيناه على آخرهما، بينما الباقون مُنفجرون في الضحك على تلك المُشاجرة، والتي تحدث دائمًا بين «فارس ومدثر»، صاح «فارس» بصراخ وهو يسأله بغضب:

_نعم!! يعني أنت ناوي تبوس بنتي بعد ما تتجوزها!!

أجابه «مدثر» بسخرية:

_لأ هنلعب تِنس متقلقش.

وبعد محايلات ومُجادلات من الطرفين، خضع «فارس» أخيرًا جالسًا على مقعده مرة أخرى، وقبالته يجلس «مدثر» الذي يُحاول إدعاء الإحترام بقدر الإمكان.

بدأ المأذون بإلقاء الكلمات على آذان الجميع المُتابعين للمشهد بإبتسامة سعيدة واسعة، وها هو بِكر العائلتين يتزوج من حبيبته منذُ الصِغر، بينما «لوچي» تُحاول التحكم في دموعها، تنظر إليه بكل حب وعشق داخلها، وها قد حانت اللحظة التي ستُكتب بها على اسمه، سيتزين اسمها وتكون «لوچي مدثر ريان الطحاوي».

انهي المأذون كلماته قائلًا:

_"بارك الله لكما وبارك عليكما وجميع بينكما في خيـــــــر".

وما إن أنهي حديثه؛ حتى جذب «إسحاق» المنديل الأبيض بسرعة البرق، مُتحدثًا بضحكة مرحة:

_عقبالي بعدك يا نِمس.

قهقه «مدثر» بخفة، فذهب «إسحاق» لإحتضانه مُربتًا على ظهره:

_مُبارك يا حبيب أخوك، عقبال الفرح يا رب.

أجابه «مدثر» بود:

_حبيبي يا جدع واللهِ.

جاء دور «سليم» الذي قام بإحتضانه هو الآخر، ثم أردف بمرح:

_يكش نبطل قِلة أدب بعد كدا بقى.

أطلق «مدثر» ضحكات عالية، ثم غمز له مُشاكسًا:

_عيب عليك لما تقول كدا، أنا طول عمري محترم.

قام «مدثر» بالرد على التهاني والمُباركات من الجميع، حتى جاء دور والده والذي يُحدجه بتأثر، ذهب إليه «مدثر» ثم قبَّل يده بحب شديد، وبعدها احتضنه بقوة.

خرج صوت «ريان» متحشرجًا من جوفه:

_كبرت امتى يا حيوان!! كدا هتعجزني بدري بدري.

ضحك «مدثر» بخفة، مُغمضًا عيناه براحة ومازال في أحضان والده، وكأنه في كل مرة يُعانقه بها؛ يشعر بأنه ذلك الطفل الصغير الذي يحتاج لوجود والده بجانبه دائمًا، ليُقسم بأن والده سيظل هو بطله الأول والأخير.

دفعت «غزل» زوجها قائلة بضجر:

_ما خلاص يا ريان عايزة أحضن الواد!! أنت هتاخده مني ولا إيه!

قهقه «مدثر» بمرح، ثم احتضنها بحب قائلًا بمرح:

_محدش يقدر ياخدني منك يا غزالة يا قمر.

حاوطته «غزل» وتجمعت الدموع بمقلتاها بكثافة، مُتحدثة ببكاء:

_كِبرت واتجوزت يا مفعوص، هتفضل أول فرحتي في الدنيا حتى لو مكنتش من لحمي ودمي، بس في الآخر أنت ابني.

حديثها أثر على الجميع، وعليه هو تحديدًا، تذكر معاناتها معه، وإهتمامها به، وخوفها عليه، ومرت ذكرياته معها كشريط سينيمائي يُعرض أمامه، تحدث بتأثر وحب واضح لتلك المرأة التي أفنت حياتها في تربيته هو وشقيقته:

_وأنتِ أحسن وأجمل أم في الدنيا، ربنا يديم وجودك ليا أنتِ وبابا.

خرجت من أحضانه عندما استمعت لصوت «لوچي» المتذمر:

_يعني بدل ما تحضني أنا رايح تحضن عيلتك!! دي مش جوازة بقى يا جدع.

ترك «مدثر» الجميع يضحكون، ثم اقترب منها بعبث، ونظرات المكر تتقازف أمام عيناه، مُردفًا بخبث:

_أنا مش هحضنك بس يا روحي.

وقف قبالتها مباشرةً، لتقول بنفس العبث والوقاحة وهي تضع يدها موضع قلبه:

_أومال هتعمل إيه تاني يا حياتي!

أخفض وجهه لمستوى وجهها مُقتربًا منها ببطئ، ثم أردف بصوت خفيض ماكر:

_هقولك بس لما نكون لوحدينا.

كل ذلك وكانت جميع العائلة تتابعهم بصدمة، هذان الأحمقان لم يتم تربيتهم بشكل صحيح، وقحان بدرجة لا تُصَدق، حديثهم العابث والوقح أوقف رؤوسهم عن العمل بطريقة صحيحة، وأول مَن استفاق من غيبوبته كان «فارس»، الذي صرخ به ينهره بحدة:

_أنت يا ولد يا سافل يا قليل الأدب، ابعد عن البت يلا بدل ما أشرحك.

اعتدل «مدثر» في وقفته مُبتعدًا عن «لوچي» قليلًا، فوضع يد بجيب بنطاله الأسود، واليد الأخرى أمسك بيدها هي بكل تملك، غامزًا لـ«فارس» بعبث، قبل أن يأخذ «لوچي» ويخرج من المنزل بأكمله:

_بقت مراتي يا حمايا اللذيذ، عن اذنكم بقى عايز مراتي في كلمتين.

قال جملته ثم أخذها من وسط الجميع وغادر بها هابطًا إلى الأسفل، صاح به «فارس» يُناديه بغضب:

_خُد ياض واخد البت ورايح على فين!!

كاد أن يذهب خلفه، لكن أوقفه «ريان» المُنهمك في الضحك على تصرفات ابنه:

_خلاص بقى يا فارس متبقاش قِفل كدا!! وبعدين متقلقش هو هياخدها ويروحوا يتعشوا في مطعم سوا.

جعد «فارس» جبينه بسخط وهو يُجيبه:

_هو إيه اللي مقلقش!! ابنك سافل يا ريان.

أجابه «ريان» بسخرية وهو يلوي شفتيه بإستنكار:

_على أساس إن بنتك من أولياء الله الصالحين!! ما هي زيه يا حبيبي، يعني حَلَّة ولقت غطاها.

كانت «ميادة» تُتابعهم بشرود، فانسلتت من بينهم واتجهت إلى شُرفة المنزل المُطلة على الشارع تنظر أمامها بدون تركيز، وعقلها يدور ويطرح آلاف الأسئلة، وهي لا تجد إجابة سوى الصمت.

شعرت بخطوات من خلفها تتجه ناحيتها، فنظرت بهدوء لصاحب تلك الخطوات، فوجدته هو، «سليمان» يتجه إليها بإبتسامة واسعة مُمسكًا بيديه كوبين من الشاي بالنعناع، وضع الأكواب على الطاولة ثم وقف قبالتها قائلًا وهو يُشير للطاولة:

_كوبايتين شاي بالنعناع بس إيه مزاج يا بت دودي.

رسمت إبتسامة خفيفة على ثغرها وهي تُحاول قدر الإمكان عدم النظر إليه حتى لا تفضح عيناها أمر عشقها الخفي له، أمسك بكوب من الشاي ماددًا يده إليها:

_اتفضلي يا ستي.

أخذته منه تشكره بصمت، ثم ارتشفت منه القليل ولم تتحدث، لذلك بدأ هو حديثه الخافت:

_أقولك سِر وتساعديني فيه بس متقوليش لحد؟!

انقبض قلبها خوفًا، تشعر بأن الحديث القادم لن يُعجبها، لا هي ولا قلبها، ورغم ذلك تسائلت بإرتعاش:

_سِر إيه؟!

نظر «سليمان» حوله يتأكد من خُلو المكان من أي فرد من أفراد عائلته، فتوقف بنظراته عليها وهو يُجيبها بخفوت:

_موضوع خاص بأختك زينب.

حاولت السيطرة على دموعها بقدر الإمكان، هي بأي لحظة ستنفجر في البكاء حقًا، تشعر بقوتها تخفت تدريجيًا، لكن مع حديثه الأخير حدجته بصدمة ظهرت واضحة على محياها:

_فيه واحد صاحبي مُعجب بزينب، وهو بصراحة محترم جدًا، وطلب مني إني أفاتح عمي شهاب بس مش بلاقي فرصة مُناسبة أفاتحه فيها.

رمشت عدة مرات تنظر له ببلاهة، تُحدج به وكأنه كائن فضائي غريب المظهر، ما هذا الهراء!! لقد ظنت بأنه سيعترف بعشقه لشقيقتها!! لكن ذهب كل هذا هباءً الآن، ألا يُحبها مثلما كانت تظن!!!

لحظة، والثانية، وكانت تنفجر في البُكاء المرير، هي تكرهه.. بل تحبه، لِما جعلها تعيش ذلك الشعور السئ!! هو نذل وحقير وأحمق، هكذا همست داخلها وهي تستكمل وصلة بكاؤها.

بينما هو كان ينظر لها بصدمة شديدة، لا يعلم ما عليه فعله، لما تبكي الآن!! ماذا قال هو لتنفجر هكذا دون سابق إنذار، خرج صوته تائهًا وهو يسألها بقلق:

_مالك يا ميادة!! بتعيطي ليه!!

وضعت يدها على وجهها تُخفي وجهها، فتحدثت بصوت مكتوم من بين شقهاتها:

_أنا بكرهك... أنت حيوان... وحقير... و...

قاطعها وهو يُشيح بيده أمام وجهها بضجر:

_لأ حيلك حيلك، مالك يا بت أنتِ!! أنتِ دماغك تعبانة!!.

ظلت تبكي قليلًا حتى هدأت شهقاتها تمامًا، وهو فقط يُتابعها بشعور ما بين الضجر والقلق عليها، أراد التخفيف عنها لذلك تحدث بمزاح:

_ميادة أنتِ مريضة نفسيًا!! يعني بني آدمة بكامل قواكِ العقلية!!

توقفت عن البكاء ناظرة له بحدة، ثم مسحت دموعها مُجيبة إياه بقوة:

_وأنت مالك أنت!!

أجابها بردح:

_مالي في جيبي يا روح خالتك، لأ بقولك إيه اقفي عِوج واتكلمي عِدل، بدل ما وربي أجيبك من شعرك.

قهقهت بخفة عليه، وهي تمسح أثار دموعها المُتعلقة بأهدابها، أمسكت بكوب الشاي الذي وضعته عندما بدأت في البُكاء، ثم ارتشفت منه القليل لتُسيطر على ذاتها، استدارت له عندما سألها بهدوء:

_مالك يا ميمو؟!! كنتِ بتعيطي ليه!!

حمحمت بحرج ولا تعلم بما تُجيبه، أتُخبره أنها كانت تبكي لسعادتها!! سيقول أنها بلهاء بالتأكيد، لذلك هزت رأسها بنفي راسمة على ثغرها إبتسامة لطيفة:

_ولا حاجة متشغلش بالك، أنا كويسة.

_يابت قوليلي دا أنا ستر وغطا عليكِ، قولي قولي، ما هو أنا مش هسيبك غير لما تتكلمي.

ضجرت من كثرة حديثه فحدقت به بإستنكار، وكادت أن تخبره بأنها تمر بفترة عصيبة فقط، لكن غيرت خطتها وقررت إخباره بمشاعرها ولكن بطريقة غير مُباشرة، سحبت نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل، ثم بدأت حديثها بـ:

_بحب واحد من فترة كبيرة، وهو حلوف مش بيحس.

ركَّز على حديثها مُوليًا كامل انتباهه لها، فتحدث مُشجعًا إياها على الإكمال:

_وبعدين؟!

استرسلت حديثها مُحيطة بالكوب تمتص منه دفئه وهي تتحاشى النظر إليه:

_مش عارفة إذا كان بيحبني ولا لأ، خايفة يكون بيحب واحدة تانية غيري، خايفة يروح مني.

أجابها ببساطة وهو يهز كتفه بلامبالاة:

_خلاص روحي اعترفي ليه.

رفعت بصرها إليه بصدمة تُحدجه بإستغراب شديد، هذا ليس حديث «سليمان» أبدًا، فشخصيته غيورة على فتيات عائلته لأقصى درجة، ماذا تغير الآن يا تُرى!!

انتبهت له عندما أكمل حديثه بحماس:

_بصي هنعمل بروفا، اعتبربني أنا حبيبك المجهول دا واعترفي ليه بِـ حُبك.

طالعته بصدمة ثم هزت رأسها بنفي:

_بطَّل هبل يا سليمان إيه اللي أنت بتقوله دا؟!

أصرَّ عليها بشدة مُحاولًا إقناعها:

_يلا بس.. أنا بحاول أساعدك.

رفضت ما يقوله مُغمضة عينها بقوة وهي تهز رأسها بنفي:

_لأ لأ مش هعمل اللي بتقول عليه دا.

_يا بنتي متبقيش نكد كدا، أنا بحاول أسهَّل عليكِ الموضوع.

ومع إصراره الشديد وافقت على مضض، بينما هو اتسعت ابتسامته بشدة وهو يُصيح مُهللًا:

_أيوا كدا شطورة، يلا ابدأي.

شعرت بالتوتر، بالتخبط، بالخوف، والخجل، ورغم أنها على علم بعدم معرفته بشئ، إلا إنها تشعر بالحرج منه وكأنه يعلم، خرج صوتها مُتلعثمًا وهي تردف بإرتعاش:

_بـ.. بـ.. بحبك.

_وأنا كمان.

أجابها على بغتة وها قد تحولت نظراته تمامًا، من الحماس، إلى أخرى عاشقة، شُلت أطرافها، وتصلب جسدها مكانه بعدم تصديق، تعلم بأن هذا من ضمن الخطة التي يتبعها، لكن كان لتأثيرها أثرًا غير متوقع على قلبها المسكين.

اقترب هو منها غير مُبالي بحالتها، ثم همس بجانب أذنها بخبث بما جعل أطرافها ترتعش:

_مش عيب عليكِ لما تحبيني الحب دا كله وتخبي عليا وعلى قلبي المسكين دا؟!!!

ثَقُل تنفسها وشعرت بالدوار يجتاحها، انقبض قلبه عندما رأى ترنحها، فسحب الكوب من يدها قبل أن يسقط منها قائلًا:

_يلهوي الكوباية هتنكسر!.

طالعته بسخط وهي تُحاوا بقدر الإمكان السيطرة على الدوار الذي أصابها، فخرج صوتها ضعيفًا خافتًا:

_هو.. هو أنت قولت إيه أصل أنا مسمعتش.

تحولت نظراته للخبث، ثم تشدق وهو يُحدجها بهيام:

_بقولك إني بحبك يا بنت شهاب، بحبك ومحدش سمَّى عليا.

صمت «سليمان» قليلًا مُتابعًا إنفعالات وجهها، ثم استكمل حديثه قائلًا:

_ كنت مفكرك مبتحبنيش وعشان كدا كنت ببين عكس اللي حاسس بيه، بس ربنا يباركله اللي رجعني لدماغي، وقالي إنك كمان بتحبيني وأنا مش حاسس.

كل تلك الإعترافات كثيرة على قلبها، لم تُجيبه، ولم تجد ردًا سوى الهروب، هربت من أمامه ومن نظراته التي تُعريها أمام نفسها، تابع أثر ذهابها بإبتسامة والهة، واضعًا يده موضع قلبه النابض بإسمها.

شعر بكف غليظة تُوضع على كتفه، فإستدار ليجده «إسحاق» يُطالعه بإبتسامة سعيدة واثقة:

_مش قولتلك إنها بتحبك!!

احتضنه «سليمان» بسعادة مُهللًا بفرح:

_روح ربنا يباركلك يا شيخ، دا انا كنت معمي ومش شايف قدامي.

بادله «إسحاق» العناق مُردفًا بمزاح:

_عشان أهبل، البت باين عليها بتحبك وأنت غبي وعامل نفسك أهبل.

ابتعد عنه «سليمان» ثم قال بإبتسامة واسعة:

_أنا هروح أفاتح عمي شهاب في موضوعنا وإني عايز اتقدم لميادة في أقرب وقت.

وصل كُلًا من «مدثر ولوچي» إلى أحد المطاعم الراقية الموجودة بالمدينة، ترجل «مدثر» أولًا من سيارته، ثم التف للناحية الأخرى ليفتح بابها لها بلطف، أمسك بكف يدها يُحثها على الهبوط.

أمسكت باليد الأخرى بفستانها الكريمي الواسع من الأسفل، ثم رفعته قليلًا عن مستوى قدمها ثم هبطت من السيارة، ابتسامة عاشقة ارتسمت على ثغره للمرة الأولى بعد الألف عندما رأى هيئتها الخاطفة، لقد سلبته للمرة التي لا يعلم عددها، وبكل مرة يقع صريعًا لهواها.

خرج صوته مُنهكًا من عشقها:

_مش معقولة كل مرة أبصلك فيها أحبك أكتر من الأول كدا!!

أحنى ذراعه قليلًا، فوضعت هي يدها بين ذراعه ليُحيطها، ثم دلفا للداخل لبدأ تناول عشائهم، وصلا للطاولة الذي احتجزها منذ عدة ساعات، فأبعد كرسيها لتستطيع الجلوس عليه.

مرت نصف ساعة تناولا فيها طعامهما، وتبادلا فيها الأحاديث العاشقة، وها قد جاءت فرصته للتعبير عن شغفه

بعد أن أصبحت حلاله، عَلىَ صوت الموسيقى فأخذها من يدها ثم وقف بالمنتصف يُراقصها أمام الجميع.

خجلت هي لفعلته خاصةً عندما أحاط بخصرها وبدأ بالميل على ألحان الموسيقى الهادئة، تحدث بصوت خفيض حرج:

_مدثر مينفعش كدا الناس بتبص علينا.

أمسك بيدها التي ترتدي بها دبلتها، ثم قبَّل موضع خاتم زواجهما قائلًا بعشق:

_ودي لازمتها إيه!! خلي اللي يتفرج يتفرج، دلوقتي مفيش غيري انا وأنتِ وبس.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على محياها وقررت التماشي مع جنونه، فيكفي ما يظهر بعينه تجاهها، لا يخجل من إظهار حبه أمام الجميع، أغمضت عينها بإستمتاع عندما استند برأسه على كتفها، تلاه همسه المُحِب لقلبها:

_بحبك، ولو فيه كلمة توصف إدماني بيكِ فأنا بعشقك.

أجابته بذاتِ الشغف وذاتِ العشق:

_وأنا بموت فيك.

تغيرت الموسيقى وجاء بدلًا منها أغنية تصف حالتهم تمامًا، جعلتهم يهيمون أكثر، لكن لم يصمت «مدثر» عند ذلك، بل قام بالغناء معها يُوجه لها كل كلمة تُقال:

_"وماله لو تُوهنا بعيد وسيبنا كل الناس...

أنا يا حبيبي حاسس بحب كبير، ماليني دا الإحساس..

وأنا هنا جمبي أغلى الناس... جمبي أغلى النـــاس..

حبيبي ليـلة! تعالى ننسى في اللي راح، تعالى جوا قلبي وارتاح...

انتهت الأغنية ومعها استمعا لتصفيق حار من جميع الموجودين، بل وجميع هواتفهم موجهة ناحيتهم تُسجل رقصتهم سويًا، لقد رأوا ذلك الحب المُشيد والمنسوج بين قلب الإثنان، عشقهم يظهر للعِيان، وتناسجهم يُوضح هيامهم.

عضت «لوچي» على شفتها بخجل مُتحاشية النظر للجميع، بينما سدد لهم «مدثر» ابتسامة مجاملة للجمهور المُلتف حولهم، فمال على أذن «لوچي» يسألها بمزاح:

_تيجي نهرب!!

اتسعت ابتسامتها، ثم أومأت له موافقة، ليلتقط يدها بين كفه ثم هرول بها من بين جميع الموجودين يختفون من أمامهم، وضحكاتهم تعلو الأرجاء من حولهم.

صدح هاتف «عدي» يصدح بصوت عالٍ في الأرجاء، فانتشله من حالة الهيام التي تُسيطر عليه بوجودها، أخرج «منار» من أحضانه مُنحنيًا قليلًا للأمام؛ ليلتقط الهاتف من على الطاولة أمامه، ثم عاد لمحله مرة أخرى، جاذبًا إياها مُجددًا لتستقر داخل أحضانه.

نظر لإسم المتصل فوجده «إسحاق»، ليُجيب عليه بهدوء وهو يُربت على خصلاتها السوداء الناعمة بحنان:

_أيوا يا إسحاق!!

جاءه صوت «إسحاق» الخبيث مُرددًا:

_فينك يا كبير!! اختفيت أنت والمدام بعد كتب الكتاب ومحدش عارفلكم طريق.

ارتسمت ابتسامة طفيفة على ثغر «عدي» وهو يُجيبه بمشاغبة:

_ملكش دعوة ياض، انجز عايز إيه!!

أتاه صوت «إسحاق» الماكر مُخبرًا إياه بخبث:

_كل خير يا حبيبي، طالعين عاركة دلوقتي، هتيجي معانا ولا فاكس!!

صدحت ضحكات «عدي» عاليًا ثم أجابه بمكر وهو يعتدل بمكانه:

_لأ فاكس إيه! معاكم يا حبيبي، ربع ساعة وهكون عندكم.

_فُل يا زميلي، مستنينك.

أملاه «إسحاق» المكان المُتجمعين به، ثم هاتف «مدثر» أيضًا، والذي كان في طريقه للعودة إلى المنزل مع «لوچي» بعد قضاء وقت طويل ومُمتع معًا، وكان مع «إسحاق» في جلسته يوجد «يزن الراوي، رياض البدري، وسليمان»، بعدما قرروا جميعًا الثأر لحق «سليمان» من ذلك الجزار الذي ضربه على رأسه.

بعد نصف ساعة تقريبًا، تجمع الست شباب معًا يُخططون للإنتقام، ها قد جاءت فرصتهم على طبقٍ من ذهب، الساعة مازالت لم تتعدى العاشرة مساءًا، ومواعيد عملهم مازالت مُستمرة، هُنا وتحدث سليم يُملي عليهم خطتهم التي سيسيرون عليها حتى لا يقعوا في مأزق:

_سليمان قال إن اللي كانوا مع الولد كان عددهم تقريبًا أربعة، واحنا ستة، يعني احنا اللي غالبين بإذن الله، هنحمي ضهر بعض، مش عايزين أي تخلف، دول جزارين والغلطة معاهم بموتة، تمام يا رجالة!!

رددوا جميعًا في صوتٍ واحد:

_تمام يا شقيق.

رفع رأسه للأعلى مُحدجًا إياهم بفخر، ثم أردف بغرور:

_بينا يا رجالة.

أنهى حديثه، فاستقلوا جميعهم سيارة واحدة بالكاد أخذتهم، فجلس «سليم» أمام عجلة المقود، وبجانبه «مدثر» الذي هرول للجلوس جانبه، وبالخلف جلس كلًا من « إسحاق وعدي وسليمان» ولم يتبقى سوا «رياض» الذي وقف مُتخصرًا بمكانه، ثم أردف بإستنكار:

_وحياة أمك أنت وهو!! وأنا هقعد فين إن شاء الله!!

أشار له «سليم» ببرود قائلًا:

_اقعد على رِجل سليمان وانجز.

انتفض «سليمان» صائحًا بسخط:

_واشمعنا سليمان بقى إن شاء الله!! وبعدين مين دا اللي رقعد على رجلي!! دا زي العِجل بكرشه دا.

_نعم نعم!! نعم نعم!! نعم نعم!! نعم نعم!! هو مين دا اللي بكِرش يا بأف أنت!! أنت مبتشوفش ولا إيه!! دا أنا حتى رجل وسيم ذو جسد رياضي.

حدجه الجميع بإستنكار ناظرين لمعدته الممتلئة حقًا، قصاح «سليم» به بنفاذ صبر:

_هتنجز تركب ولا نسيبك ونمشي!!

وافق «رياض» على مضض، ثم أردف بإبتسامة خبيثة:

_هركب، بس على رِجل إسحاق حبيبي.

وما كاد «إسحاق» أن يعترض، حتى وجده يقفز على قدمه جالسًا عليها بإسترخاء، تبعه بقوله الشامت مُتصنعًا الرقة:

_هاي يا بيبي.

طالعه «إسحاق» بإشمئزاز، ثم أجابه تزامنًا مع هبوط كف يده العريض على ظهره بقوة:

_هاي يا قلب البيبي.. يارب.. تكون.. الخدمة.. عجباك.

كان يضرب على ظهره بغل بين كل كلمة وأخرى، تأوه «رياض» بقوة ثم لكمه في وجهه يصرخ به:

_إيدك يا حيـــوان.

وضع «إسحاق» يده على وجهه موضع لكمته، ثم سأله مشدوهًا:

_أنت بتضربني!!

أنهى تساؤله ثم هبط على وجهه بلكمة قوية من يده، أدت إلى ترنحه للخلف على قدم «عدي»، طالعه «عدي» بشماتة مُربتًا على وجهه أثر لكمة «إسحاق»، ليقول بضحكة مكتومة:

_معلش يا بيضة، تعيشي وتاخدي غيرها يا جميلة.

كان الجميع يُتابعهم بإبتسامة حاولوا قدر الإمكان إخفاؤها، لكن مع قول «عدي» الأخير انفجروا في الضحك، حرك «سليم» رأسه بيأس على أفعالهم الطفولية تلك، مُركزًا على الطريق أمامه، وشرد عقله بها هي، تلك الفاتنة التي آسرته بمشاكستها وحديثها العفوي!.

بعد نصف ساعة؛ وصل الجميع إلى وجهتهم، ليترجلوا من السيارة بمظهر مُهيب للأنفس، وللمصادفة فجميعهم يرتدوا نفس الثياب تقريبًا؛ قميصًا من اللون الأسود مع بنطالًا نفس لون القميص، فأعتطهم رجولية مُفرطة.

استداروا جميعًا على شكل دائرة، وهنا تحدث «مدثر» بجدية يدعمهم بقوله:

_هنخش عليهم، اي حد هيعصلج معانا هننزل فيه ضرب، مش عايزة حِتة في وشهم سليمة، هنحمي بعض، عايزهم لما يشوفونا بعد كدا يموتوا من الرعب....

وبعد خمسة دقائق... كان «سليمان» يصرخ كالنساء طالبًا النجدة منهم:

_الحقـــــوني.. ماسكين سكينـــة يالهـــــوي.

لطم «مدثر» على وجهه وهو يُهرول، يُحاول أن يجد مكانًا للإختباء به:

_الحقنـــي أنت.. همـــوت.. كتب كتابي كان النهاردة.. سيبوني أعيش يا ولاد الـ***.

بينما «عُدي» كان قد وقع بين يد أحدهم، فهزه بطريقة أثارت دورانه وهو يسأله بغلظة:

_بقى شوية عيال معاتيه زيكم يلا جايين يضربونا في وسط حارتنا!!

أجابه «عدي» وهو على وشك البكاء:

_نضرب مين بس يا معلم أنت فهمت غلط، احنا كنا جايين نشتري لحمة واختلفنا على السعر مش أكتر.

_شايفني عيل صغير يــلا!!! دا انتوا سنة أبوكوا سودة السنادي.

أمسك «عدي» بكفه الغليظ يُحاول ردعه عن رأيه، قائلًا برجاء:

_أبوس إيدك فرحي آخر الشهر، يرضيك أموت قبل ما أتجوز!!!

أجابه ببرود لاكمًا إياه في عينه لكمة قوية أطاحت بجسده:

_أيوا يرضيني.

بينما كان هناك رجلين يُمسكان بـ«سليم» المُهتاج، والذي يصرخ بأصدقائه قائلًا:

_يلعن أبو معرفتكم الهبـــاب يا أخي، أبقى راجل وسخ لو اتقابلت مع أشكالكم العِكرة دي تاني، انتوا عارفين أبويا لو عِرف إني اتمسكت الماسكة المُهزأة دي هيعمل فيا إيه!! وعهد الله هيبيتني في أوضة الكلب يا ولاد الـ***.

صعد صدره صعودًا وهبوطًا بغضب مُحاولًا الإفلات منهما، لكن محاولاته بائت بالفشل، وذلك لضخامة أجسادهم، حوَّل بصره تجاه «رياض» الذي يجلس على مقعد القهوة يرتشف قليلًا من الشاي مع أحد أخوة هؤلاء التيران المُتحركة:

_وبس يا سيدي، فضلت أقولهم مينفعش اللي هتعملوه دا، دول مهما كانوا ناس محترمة وأكيد سليمان هو اللي قليل الأدب بس مسمعوش كلامي.

لوى «بدير» شفتيه بأسى ثم نظر لأشقائه:

_بيني وبينك أخواتي دول مفتريين، أنا الطيب اللي فيهم، زي ما تقول كدا جيت بينهم غلط.

صحح له «رياض» حديثه قائلًا:

_قصدك إنك بسكوتة العيلة يعني!!

أكد له بحديثه المُتحسر:

_وبسكوت نواعم وحياتك.

كاد «رياض» أن يُجيبه، لكنه استمع إلى صوت «سليم» المنادي له بهياج:

_أنت بتعمل إيه يا حيوان!!

أشار تجاهه مُوجهًا حديثه لـ«بدير»:

_شايف المُعاملة!!

وما كاد ان يُجيبه «بدير» هو الآخر، حتى استمع إلى صوت أحد اخوته:

_ورب محمد يا بدير بعد ما نخلص لهعلقك مكان اللحمة دي بس الصبر، يا عـــاق.

أشار «بدير» هو الآخر تجاه شقيقه قائلًا بأسى:

_شايف نفس المُعاملة!!

قاطع ذلك العِراك الدائر صوت كبير المنطقة، والذي لم يكن سوى والد هؤلاء الرجال يُصيح بهم بقوة وهو يضرب بعصاه بحدة على الأرض:

_إيه اللي بيحصل هنا دا!!!

صدح صوت أحد الأخوة يهتف بإحترام جلي لأبيه:

_يابا العيال دي كانوا جايين في حارتنا ومطرحنا وعايزين يضربونا.

خرج مدثر من خلف أحد الطاولات التي كان يختبأ خلفها، ثم صاح بنفي وشعور الظلم يتلبسه:

_كِدب، دا كله كِدب، احنا كنا عايزين لحمة عشان نعمل حواوشي، بس هما فهمونا غلط منهم لله.

أشار له «يعقوب» بغضب وهو يتحدث لأبيه:

_شايف يابا!! والله لو ادتني الإذن هروح أكسر دماغه دلوقتي.

حدجه أباه «هارون» بحدة، ثم أردف بغضب مُوجهًا حديثه لأبناءه:

_إيه البلطجة اللي بقيتوا فيها دي!! سيبوا العيال يلا أنت وهو.

اعترض «يعقوب» بأدب:

_يابا بس...

قاطعه «هارون» بأمر قاطع:

_مبسش.. سيبوا العيال قولتلكم.. وأنا ليا تصرف تاني معاكم.

ترك الرجال الشباب جميعًا، فصاح «عدي» بألم وهو يُشير لوجهه:

_شايف يا حاج ابنك عمل إيه في عيني!! حسبي الله ونعم الوكيل، الواحد عشان ياكل أكلة حواوشي يتضرب كدا يا عالم!! يتضرب كدا يا خلق!!

قاطعه «هارون» ناظرًا له بسخرية:

_خلاص ياخويا متبقاش عامل زي المرا النتاتة كدا، أنا عارف إن ولادي مبيكدبوش، بس خليتهم يسيبوكوا رأفة مني بس.

حمحم «عدي» بحرج، فجاء إسحاق مُتحدثًا بشماتة جانب أذنه:

_جبهتك طارت.

حدجه «عدي» بسخط قائلًا:

_اسكت أنت خالص وشوف جبهتك سابتك وراحت فين وأنت متعلق على باب المحل.

عض «إسحاق» على شفتيه من الداخل بغيظ ولم يُجيبه، بل اكتفى بتسديد نظرة حارقة له جعلته يود أن ينفجر في الضحك.

وقف «سليم» أمام «هارون» قائلًا بغضب:

_يعني ينفع اللي ولادك عملوه دا يا حاج!!

صعد صوته قائلًا برزانة:

_أولاد هارون مبيغلطوش غير في اللي غِلط فيهم، ولو غير كدا وليكم حقك فهو عندي.

تحدث «سليم» مُشيرًا لصديقه:

_واحد من عيالك من عشر أيام ضرب صحبي على دماغي، وفضل محجوز في المستشفى أسبوع، كدا لينا حق ولا ملناش يا حاج!!

نظر «هارون» لأبنائه السبعة مُتسائلًا:

_مين فيكم اللي عمل كدا!!

ابتلع أحدهم ريقه خوفًا من والده، ثم أردف بتذبذب:

_أ... أنا يابا.. بس دا زعق للواد ا...

قاطع حديثه صوت والده الصارم:

_أنت تخــرص خالص.

ثم نظر لـ«سليم» وجميع الشباب قائلًا:

_وزي ما قولتلكم حقكم عندي، بس ابني غِلط هحاسبه بيني وبينه مش قدام الناس.

أومأ «سليم» بموافقة، ثم أردف بإمتنان:

_تسلم يا حاج.. عن إذنك.

_إذنك معاك يابني.

ذهب الشباب وصعدوا للسيارة بالطريقة التي جاءوا بها، التفت «سليم» الذي كان يجلس أمام عجلة المقود لـ«رياض»، مردفًا بتوعد:

_حسابك معايا بعدين، وعهد الله ما هحلك.

لوى «رياض» شفتيه بسخط مُتسائلًا بحنق:

_وأنا عملت إيه يعني!!!!!!!!.

مرَّ يومان أخران، كان «مدثر» حينها يخرج من محل الصاغة الكبير الموجود بالمدينة، مُمسكًا في يده سلسال يحمل اسم «لوچي»، لقد وصى عليه مخصوصًا منذ عدة أيام؛ ليُعطيه لها في يوم ميلادها القادم، والذي يكون في الغد.

كان في طريقه تجاه سيارته، لكن قاطع سيره هو ظهور هؤلاء الشباب الذين قام بضربهم منذ عدة أيام هو و«سليم»، وما كاد ان يتحدث حتى أخرج أحدهم ماديته غارزًا إياها في معدته بقوة، وبعدها هربوا بدرجاتهم النارية، تاركين إياه غارقًا في دمائه.

«يُـتْـبَـعْ»

#جنون_تحت_السيطرة.

|شروق حسن| ❤️

«جنون تحت السيطرة»

«الفصل الخامس»

قبل ما حدث بقليل، كان «يزن» جالسًا بجانب «ريان» وأمامه الشباب الخمسة يقفون مُطرقين الرأس كالمذنبين، هُنا تسائل «ريان» مُوجهًا حديثه لـ«يزن» بعتاب:

_في إيه يا يزن مذنب العيال كدا ليه؟!!

لوى «يزن» شفتيه بتهكم مُجيبًا إياه بسخرية وهو يُشير للشباب:

_البهوات فاكرين نفسهم فتوات، رايحين حارة هارون وبيتخانقوا مع عياله هناك، وياريتهم رِجعوا منصورين، دول اتضربوا واتهزقوا واتهانوا زي الكلاب.

جعد «رياض» وجهه مُعترضًا بضجر:

_بس متقولش اتضربنا يا عمو، احنا كُنا بناخد ونِدي بشكل وِدي مع بعض.

تحدث «يزن» بغتةً:

_والقلم اللي معلَّم على قفاك بقاله يومين دا تسميه إيه!!

اعترض بقوة صائحًا:

_لأ دا من إسحاق مش من الرجالة.

التوى ثغر «يزن» ساخرًا:

_لا طالما إسحاق هو اللي ضربك تبقى راجل.

تحدث «سليم» تلك المرة مُوجهًا حديثه لوالده:

_يا بابا كان موضوع وخِلص بقى، خلي قلبك أبيض.

نهره «يزن» بحدة وتعابيره تشتد قسوة:

_أنت تسكت خالص، قال وأنا اللي بتفشخر بيك طلعت عِرة زيهم.

وضع «إسحاق» يده على صدره يضرب عليه بضربات خفيفة:

_الله يكرمك يا عمي والله، طول عمرك أصيل.

طالعه «يزن» ببرود مُجيبًا إياه:

_دا غصب عنك يا ابن موسى.

قاطع تلك المُشاحنة هاتف «ريان» المُسترخي على الأريكة يتثائب، فتح عينه بصعوبة ناظرًا لشاشة هاتفه فوجده رقم ابنه «مدثر»، قذف الهاتف في وجه «سليم» بغتةً ليصتطدم بوجهه قائلًا:

_خُد رُد على صاحبك عايز أنام.

وضع «سليم» يده على وجهه بألم ناظرًا لـ«ريان» بغيظ، كز على أسنانه بحنق ثم فتح الهاتف قائلًا بغضب يكتم غيظه من «ريان»:

_عايز إيه يا زفت!!

أتاه صوت آخر غير «مدثر» يُخبره بعملية:

_ألو يا فندم، صاحب الموبايل دا في المستشفى وحالته خطيرة للأسف.

انتفض «سليم» بفزع يصرخ به:

_بتقول إيـــه!! مستشفى إيه!!!!

انتفض الجميع من محلهم عقب قوله الأخير، وأولهم كان «ريان» الذي انتشل الهاتف من على أذنه:

_ابني فين!!!

أعاد الرجل نفس كلماته بأسف على مسامعه، مما شل جسده جاعلًا إياه يتصنم مكانه من الصدمة، تسائل «يزن» بقلق، خاصةً بعد أن لاحظ الصدمة المُرتسمة على وجهه كليهما:

_في إيه!! إيه اللي حصل!!!

ارتعش جسد «ريان» وهو يُتمتم مع ذاته بصدمة:

_ابنـــي!!

لم يجد «يزن» نفعًا من سؤاله، لذلك استدار ناحية «سليم» يسأله بنفاذ صبر:

_في إيه يا سليم انطق.

وبصعوبة خرج «سليم» من حالة الصدمة التي تلبسته ناظرًا حوله بتيهة، ليجد والده وجميع الشباب ينتظرون إجابته على أحر من الجمر، فتح فمه ثم أردف بصعوبة بالغة:

_مدثر في المستشفي وبين الحيا والموت.

استمع الجميع إلى صوت جلبة تأتي من خلفهم، فاستداروا مُسرعين، ليجدوا «غزل» واقفة تُحدجهم بصدمة، وصينية

المشروبات تقع أسفل قدميها، يبدو بأنها استمعت لحديثهم على الأغلب.

تقدمت منهم ببطئ رهيب، ثم توقفت أمام «ريان» المُنصدم هو الآخر تسأله بعدم تصديق:

_ابني!! ابني فين يا ريان!!

أسندها «إسحاق» مُمسكًا إياها من كتفها، ثم أردف بإرتعاش:

_متقلقيش يا طنط، هيبقى كويس والله.

هبطت دمعة شاردة من عينها ومازالت غير مُصدقة، تشعر بأن قلبها يكاد أن يُفتك من شدة آلامه، لذلك وضعت يدها على صدرها قائلة بصوت مبحوح:

_عايزة ابني، عايزة أروح لمدثر ابني.

تلك المرة خرج صوت «يزن» الواثق:

_متقلقيش يا مدام غزل، كلنا هنروح دلوقتي المستشفى اللي محجوز فيها وهنبقى نطمن حضرتك.

هزت رأسها نفيًا بهستيرية قائلة بإصرار:

_لأ هاجي معاكم، هشوف ابني.

خرج «ريان» من صدمته ذاهبًا إليها، ثم أحاط وجهها بين كفيه مُردفًا بدموع حبيسة في مقلتاه:

_عشان خاطري يا غزل خليكِ هنا، واحنا هنوصل لعنده وبعدها هبعت حد من الشباب ياخدك لو الموضوع كبير بعد الشر، عشان خاطري متوجعيش قلبي أكتر من كدا.

هبطت دموعها بشدة ترجوه بنحيب:

_ابني يا ريان، لو جراله حاجة هروح فيها قسمًا بالله، أنا معنديش غيره.

قبَّل جبينها ثم وعدها بحنان مُحاولًا كتم الألم داخله:

_هيبقى كويس، إن شاء الله تكون حاجة بسيطة.

ابتلعت ريقها بصعوبة مُفسحة لهم الطريق، فجلست على المقعد تنزل لأثرهم الراحل بحسرة، ثوانٍ وكانت تنفجر في البكاء، وضعت يدها موضع قلبها لتُقلل من ألمه، ابنها الآن بين الحياة والموت، لقد استمعت لحديثهم كاملًا، تعلم ان «ريان» يكذب عليها ليُطمئنها، لكن انقباضة قلبها هي ما تُخيفها، تشعر بشعور سيء يتملك منها، تشعر بأنها لم تكن سوى النهاية!!

وصل الجميع إلى المشفى مهرولين نحو الداخل، وأولهم كان «ريان» الذي سأل الإستقبال متسائلًا بهلع:

_لو سمحت عايز أعرف ابني فين!!

قطب الرجل جبينه ثم تسائل بهدوء:

_ابن حضرتك اسمه إيه يا فندم؟!

أجابه مسرعًا:

_مدثر ريان الطحاوي.

نظر للحاسوب الذي أمامه يبحث عن الإسم الذي أملاه «ريان» له، وبعد عدة ثواني رفع رأسه لاه ثم تحدث بعملية:

_المريض دلوقتي يا فندم موجود في العناية المركزة عشان حالته كانت حرجة.

تلك الكلمات هبطت على أذن الجميع كالصاعقة، قلوبهم تقرع كالطبول من شدة خوفهم، خاصةً ذلك التائه الذي

ينظر أمامه بأعين فارغة، شعر بالأرض تميد به وأول من لحقه كان «يزن» الذي اسنده يهتف له بتشجيع:

_فُوق يا ريان، ابنك محتاجلك أكتر من أي وقت هتيجي دلوقتي وتضعف!!

تسللت الدموع لأعين «ريان» متحدثًا بما يرفضه عقله:

_ابني بيضيع مني يا يزن.

وقف «إسحاق» من الناحية الأخرى له واضعًا يده على كتفه بإرتعاش:

_متقلقش يا عمي هيبقى كويس بإذن الله، تعالى نطلع دلوقتي ونطمن على حالته.

هز رأسه له وكأنه وجد الحل للإطمئنان عليه، ثم صعدوا جميعًا للأعلى حتى وصلوا إلى الردهة الموجود بها غرفة العناية، وقفوا أمام الباب المعدني الكبير فوجدوا المصباح الأحمر مُضاء دليلًا على وجوده بالداخل حتى الآن.

ظلوا منتظرين عدة دقائق ليست بالأخيرة، حتى شعروا بحالة من الهرج والمرج تحدث حولهم، رأوا تلك الممرضة تهرول للخارج فسألها «ريان» بهلع:

_في إيه اللي بيحصل!! ابني ماله!!

أجابته بإستعجال وهي تذهب من أمامه:

_المريض قلبه وقف مرتين ومحتاج نقل دم ضروري.

صمت كلماتها أذنه، ولا يتكرر بعقله سزى جملة واحدة كادت أن تُصيبه بذبحة صدرية "المريض قلبه وقف مرتين!!".

هو لن يخسر ابنه، هز رأسه مستنكرًا لصوت عقله الذي يرسم له الكثير والكثير من السيناريوهات الشيطانية، حتى إنه لم يستمع إلى صوت الشباب وكذلك "يزن وفارس" الذين يُنادوه للإطمئنان على حالته، فلقد شحب وجهه بشدة حتى أصبح يُحاكي شحوب الأموات تقريبًا.

هزه "فارس" بقوة مُمسكًا إياه من ذراعه:

_ريان فوق... متستسلمش كدا... مدثر لسه عايش وكويس... فوق عشان تتبرعله بدمك... فصيلة دمكم متشابهة... فوق عشان تنقذ حياة ابنك.

وكأن كلماته أعادته للواقع، حدجه بنظرات ضعيفة مُنكسرة، إن حدث شيء له سيكون هو التالي بعده، هو ليس فقد ابنه، بل صديقه ورفيق دربه أيضًا، هبطت دموعه بأسى

وتلك الأفكار المزعجة لا تغادر عقله، ليحتضنه «فارس» معانقًا إياه بقوة هامسًا له:

_هيبقى كويس والله العظيم، اهدى كدا وسلم أمرك لربنا.

رفع «ريان» عيناه الدامعة للأعلى متضرعًا، وهو يهمس برجاء:

_يارب.

تجمع الفتيات معًا على سطح المنزل جالسين على الأرضية الصلبة وهم ملتفون في شكل حلقة دائرية، أمسكت «ميادة» بالزجاجة البلاستيكة ثم وضعتها أرضًا، لتُديرها برفق، ظلت الزجاجة تلتف حتى توقفت على كُلًا من «جميلة ومنار»، أشارت «ميادة» ناحية «جميلة» قائلة بحماس:

_جميلة هي اللي هتسأل، ابدأوا.

حكت «جميلة» رأسها قليلًا، تُفكر في سؤال صعب تستطيع سؤالها عليه، وبعد تفكير دام لثوانٍ، أردفت مُتسائلة وهي تنظر لـ«منار» بترقب:

_كنتِ متخانقة أنتِ وعدي الفترة اللي فاتت صح!! كان باين في معاملتكم.

حدجتها «منار» بثبات قائلة:

_مشاكل عادية زي ما بيحصل بين أي اتنين مرتبطين، اختلفنا في حاجة كدا وبعد كدا اتصالحنا والأمور رجعت زي ما كانت.

هزت رأسها بعدم إقتناع مُضيقة عيناها تُحدجها بشك، لكنها لم تتحدث حتى لا تتطرأ لأحاديث قد تُزعجها، أمسكت «ميادة» الزجاجة مرة أخرى وأدراتها بقوة مثلما فعلت في السابقة، لتتوقف فجأة على كُلًا من التوأمتان «ميادة وزينب»، والدور على زينب لسؤالها.

ارتسمت ابتسامة خبيثة على ثغر «زينب» أقلقت «ميادة» كثيرًا، ابتلعت ريقها مُتحدثة بتوتر:

_أنا أختك وتوأمتك ها، خليكِ رئيفة بيا.

التوى ثغر «زينب» بعبث وهي تُجيبها بسخرية:

_رئيفة دي تبقى خالتك يا عين أختك.

حدجتها «ميادة» باستنكار لم تلتفت «زينب» له، وبحماس شديد اعتدلت متسائلة بنبرة لعوب:

_كنتِ بتدايقي لما سليمان كان بيهزر معايا ليه!!

صُدمت «ميادة» من معرفتها بحبها لـ«سليمان»، هو حتى الآن لم يُفاتح والدها _كما أخبرها_ هو، لكن كيف علمت شقيقتها!! خرج صوتها مُتلعثمًا تسألها بدهشة:

_بـ.. بتقولي.. إيه!! مـ.. مفيش حاجة من الكلام دا.

غمزتها «رهف» بمشاكسة:

_يابت!! يابت مش علينا الكلام دا، دا أنتِ عنيكِ فضحاكِ.

وبعفوية تسائلت «ميادة» ببلاهة:

_بجد والله!!

نكزتها «زينب» في جانبها بقوة آلامتها، ثم حدثتها بعتاب:

_يعني أنا أختك وتوأمتك وتخبي عليا!! دا أنتِ نتنة.

جعدت «ميادة» وجهها بسخط زائف، وبتوتر أمسكت بالزجاجة لتُديرها مرة أخرى لتُلهيهم عن إستكمال أسئلتهم المزعجة، دارت الزجاجة ببطئ حتى توقفت على الخصم القوي، وكانوا هم «لوچي وحور».

كان الدور على «لوچي» لسؤالها، حدجتها بسخط جاززة على أسنانها بغيظ، اعترافها لـ«مدثر» بحبها يُصيبها

بالضيق، وأحيانًا تشعر بحاجتها للتنفيس عن ذاتها بضربها، جالت الأسئلة الكثيرة بعقلها، وأهمهم قامت بسؤالها على بغتة لكن لم تسأله بطريقة مباشرة حتى لا تقوم بإحراجها أمام الفتيات:

_بتحبي مين!!

ارتسمت ابتسامة جانبية على ثغر «حور»، تعلم كل ما يدور بعقلها من أسئلة، وعلى التفكير في سؤالها؛ ذهب عقلها بدون وعي له هو، ونطق لسانها عفويًا:

_إسحاق.

_مين!!!!

نطق الجميع بتعجب وذهول مُحدقين بها بدهشة، لم تُظهر أي من مشاعرها أو حتى عبرت عنها من قبل، وأول من فاقت من صدمتها كانت «لوجي» التي تسائلت بشك:

_حبيتي قبله!!

أجابتها «حور» دون مراوغة أو كذب:

_مكدبش عليكِ آه، أنا مش بحب إسحاق من كتير، بحبه من شهر تقريبًا، حسيت إن فيه حاجة جميلة بتشدني ليه، رغم إنه قدامي طول السنين دي كلها إلا إني مفكرتش فيه غير

دلوقتي، هو اللي ساعدني إني اتخطى الشخص اللي حبيته قبل كدا، مكنش حب على قد ما كان إعجاب، كنت بحب الشخص الأول دا لسنتين، حسيته لطيف ودمه خفيف، وطول الوقت كان قدامي اللي يستاهل إني أديله مشاعري وأنا مطمنة، وعشان كدا أنا بقيت أحب إسحاق، مدخلتش في مرحلة العشق وكدا، بس حاسة نفسي معاه، عارفة إنه راجل وقد المسؤولية، وعشان كدا اختارته هو.

كان الجميع يُحدجها بسعادة جلية، أحاطت «رهف» بكتفها قائلة بسعادة:

_الله أنا مبسوطة بجد، أنتِ وإسحاق لايقين على بعض جدًا والله.

ارتسمت ابتسامة طفيفة على ثغرها، فحولت نظرها لـ«لوچي» فوجدتها تبتسم بارتياح هي الأخرى، بادلتها بسمتها تلك وهي تعلم أن حديثها أراح قلبها كثيرًا، يبدو أنها كانت مازالت تشعر بالقلق حيالها.

أمسكت «ميادة» بالزجاجة لإستكمال اللعب، وما كادت أن تُديرها حتى استمعوا جميعًا لصوت «غزل» التي تُصيح ببكاء:

_أنت بتقول إيه!!! ابني جراله إيه يا إسحاق.

انقبض قلب الفتيات زُعرًا من حديثها المُبهم هذا، ثم وقفوا مُهرولين للأسفل بفزع، فوجدوا «إسحاق» يقف أمام «غزل» مُمسكًا إياها من أكتافها يُحاول تهدأتها:

_اهدي يا مرات عمي، والله هو كويس بس لسه محجوز في العناية.

هرعت كُلًا من «لوچي ومنار» له نحوه على أثر كلماته، وأول من تحدثت كانت «لوچي» التي أردفت بفزع:

_عناية إيه!! ماله مدثـــر!!!.

رفع يده أمام وجهها يُهدئها وهو يُقاوم دمعاته العالقة بين أهدابه:

_اهدي يا لوچي مفيش حاجة، مدثر كويس هي بس حادثة بسيطة.

شهقت ببكاء يعلو تدريجيًا وهي تهز رأسها نفيًا، بينما «غزل» تحدثت ببكاء:

_ودِيني عند ابني يا «إسحاق»، عايزة أشوفه.

أغمض «إسحاق» عيناه بيأس، هو بالأساس قادم لطمأنتهم كما أخبره «ريان»، لكن هو بالكاد يُسيطر على ذاته،

وجاءت «غزل» بغريزتها الأمومية حركت فيه مشاعر البكاء أكثر، وبالنهاية هزَّ رأسه بالإيجاب قائلًا:

_ماشي، بس مش هينفع تيجوا كلكوا سوا.

هُنا وتدخلت «حور» التي رأت تعبه البادي على وجهه مُتحدثة:

_خلاص متقلقش احنا هنفضل كلنا هنا وخُد معاك طنط غزل ولوچي ومنار عشان يطمنوا على مدثر.

حدجها بإمتنان راسمًا بسمة بسيطة على محياه، ثم أفسح الطريق لثلاثتهم ليهبطوا للأسفل منتظرين إياه، دلفت الفتيات للداخل والقلق ينهش بقلوبهم على ابن عمهم المُصاب، بينما تقدمت «حور» من إسحاق قائلة برقة:

_متقلقش هيبقى كويس وهيقوم بالسلامة.

ابتلع غصته العالقة بحلقه وهو يُردد برجاء:

_يارب يا حور يارب، ادعي كتير، مدثر محتاج دعواتنا كلنا دلوقتي.

سألته بإرتعاب وصوت مرتعش:

_هو.. هو حالته خطيرة أوي كدا!!

طالعها بتمعن، ثم أومأ لها يدرس إنفعالات وجهها بدقة، ليجدها تدعو بتضرع مُشجعة إياه:

_بإذن الله ربنا هيعديها على خير، ابقى اتصل عليا طمني لو حصل أي جديد.

أومأ لها وهو يزفر بتعب، ثم همس لها قبل أن يتركها ويهبط للأسفل:

_حاضر، خلي بالك من نفسك أنتِ بس، يلا سلام.

تابعته بصمت وهي تُتمتم مع ذاتها بتمني:

_سلام.

وقف "سليم" بالحديقة الخاصة بالمشفى بعد أن شعر بجدران المشفى تطبق على أنفاسه، لا يطيق التواجد بدون صديقه، هو مُحتجز في غرفة مليئة الأجهزة وجسده مُوصل بالأسلاك التي تُساعده على العيش، شعر بيد تُوضع على كتفه وظهر بعدها «عُدي» المُرتسم على وجهه الحزن الشديد.

استدار له «سليم» بأعين متوعدة، قائلًا بشر مُخيف:

_حق مدثر مش هنسيبه، اللي عمل فيه كدا هخليه يتمنى الموت وميطلهوش.

_مش لما نعرف مين اللي عمل كدا أصلًا!!

سؤال صعد من فم «رياض» الذي جاء من خلفهم ومعه «سليمان»، رفع «سليم» رأسه لهم ثم زمجر بشراسة:

_هنعرف، وديني هنعرف مين هو ومش هحله.

ربت «سليمان» على كتفه عدة ضربات خفيفة أثناء قوله المتوعد:

_مش هنحله، اسمها مش هنحله، اللي يجي على واحد فينا يستاهل اللي يحصله.

أكد «عدي» على حديثه قائلًا بتفكير وهو يوجه حديثه لـ«سليم»:

_خلي عمو يزن يستعمل نفوذه ويعرفلنا مين اللي عمل كدا كاميرات المراقبة.

كز «سليم» على أسنانه بحقد مردفًا بغضب عارم:

_هيكونوا مين يعني غير ولاد الحاج هارون!! مفيش غيرهم هما اللي عملوا كدا.

هُنا وصعد صوت «رياض» الصارخ:

_قسمًا بالله لو هما لهنخربها فوق دماغهم، بس لسه هنستنى كاميرات المراقبة!!

صعد صوت «سليم» الذي تشدق بجمود:

_واحنا لسه هنستنى!! بينا على هناك، وأنت يا رياض كلم حد من الحرس بتوعنا يجوا للمكان من غير ما بابا يحس بحاجة، وكلم إسحاق يحصلنا على هناك.

أومأ له «رياض» بالإيجاب وفعل ما طلبه منه، وبعد عدة دقايق كانوا جميعًا يصعدون للسيارة لينطلقوا بها بسرعة شديدة دلالة على الغضب الجاقم فوق صدورهم.

وصل «إسحاق» بسيارته وتعجب عندما وجدهم يسيرون بالسيارة من جانبه ولم يروه، قرر توصيل الفتيات ثم الإتصال بهم ليعلم إلى أين يذهبوا، توقف بسيارته ثم هبط منها وكذلك الجميع، ثم دلفوا إلى داخل المشفى مسرعين، ودموعهم تنهمر بقلق على وجوههم.

وصلت «غزل» إلى الردهة، فوجدت «ريان» واقفًا يستند على الحائط بإنهاك، و«يزن» يُعطيه علبة من العصير يرتشفها بهدوء، اقترب منه ببكاء حاد تسأله بانهيار:

_ابني فين يا ريان!!! إيه اللي حصله.

حدجها «ريان» بدهشة من مجيئها، فحول نظره لـ«إسحاق» بعتاب على جلبه لهم، هز «إسحاق» كتفه بيأس قائلًا:

_هما اللي أصروا يجوا والله يا عمي.

زفر «ريان» بتعجب ثم استدار لـ«غزل» التي تشهق ببكاء شديد آخذًا إياها في أحضانه مُربتًا على ظهرها بهدوء:

_اهدي يا غزل.. اهدي يا حبيبتي هيقوم بالسلامة إن شاء الله.

هزت رأسها بعدم تصديق مُردفة بألم:

_إيه اللي حصله!! الدكتور قالك إيه!!

مسح على وجهه بقلة حيلة ولا يعلم بما يُجيبها، حالة ابنته خطرة وتحتاج إلى عملية دقيقة للغاية، خاصةً وأن الآلة الحادة التي دخلت في معدته استقرت عند كليته اليُمنى

مُدمرة إياها، لذلك هو يحتاج لنقل دم سريع بعد أن نفذت منه الكثير من الدماء.

خرج الطبيب في تلك اللحظة خالعًا الماسك عن وجهه، ليلتف الجميع حوله يتسائلون بإهتمام:

_مدثر عامل إيه يا دكتور!!

أجابهم بأسف:

_مخبيش عليكم الحالة جيالنا بعد ما فقدت دم كتير، والكلى شبه متدمرة بس احنا هنعمل أقصى ما عندنا عشان نعالجها ومتتشالش، لكن اللي محتاجينه دلوقتي هو نقل دم ليه ضروري غير اللي والده اتبرع بيه، وفصيلته نادرة شوية.

سارعت «غزل» بسؤاله:

_فصيلة دمه إيه يا دكتور أنا ممكن اتبرعله.

أجابها بتمني:

_فصيلته O+، وياريت نلاقي متبرع في أسرع وقت.

هُنا وتدخلت «لوچي» التي كانت تتابع حديثه بصدمة جمدتها لثوانٍ:

_أنا.. أنا فصيلة دمي زيه يا دكتور، أنا هتبرعله.

أشار لأحد الممرضات التي تقف بجانبه قائلًا براحة:

_طيب كويس أوي، روحي مع الممرضة خليها تسحب منك دم بسرعة، عامل الوقت مهم جدًا معانا.

هزت رأسها بهستيريا ثم جاورت الممرضة التي أخذتها معها، دالفين إلى إحدى الغرف مُختفيين عن الأنظار.

وصل «إسحاق» إلى حارة هارون بعدما هاتفه أحد الشباب مُخبرين إياه على وجهتهم المُحددة، هبط من السيارة مُسرعًا ثم سارع بخطواته إليهم عندما استمع إلى صوت شجار عالي يأتي من على بُعد أمتار ليست بالكثيرة.

وصل إليهم فوجد «سليم» ممسكًا بـ«يعقوب» من ياقة ثيابه يهزه بعنف ساببًا إياه بسباب رديء، اشتعلت عيني «يعقوب» من وقاحته فسدد له لكمة عنيفة في وجهه صائحًا بحدة:

_أنت اللي زيك مينفعش معاه الإحترام.

سيطر «سليم» على توازنه بصعوبة، ثم بادله لكمته بنفس القوة أو أكثر قليلًا وهو يُصيح بهيجان:

_أنا هربيك يا ابن الـ.....

تفاقم الغضب على أوجه أشقائه من سبته وتطاوله على أخيه وعائلته، وأول مَن تحدث غاضبًا هو «مجاهد» الذي تطاول على «سليمان» من قبل:

_ما تحترم نفسك يا جدع أنت وبلاها قلة الأدب دي، احنا محترمينك بس عشان أبويا، غير كدا وكتاب ربنا ما كنا هنسيب في جتتكوا حِتة سليمة.

هُنا وتدخل «إسحاق» بسخرية قاسية:

_والله عاملين احترام لأبوكم!!! ومعملتوش ليه احترام ليه لما غدرتوا بواحد مننا وبقى مرمي في المستشفى بسببكم!!! دي حركة **** متطلعش غير من أشكال ****.

هدأ «يعقوب» قليلًا بعدما استمع لكلماته، ثم قطب جبينه بتعجب وهو يسأله بترقب:

_غدرنا بيكوا ازاي مش فاهم!!.

التوى ثغر «عدي» باستنكار متشدقًا بسخط:

_على أساس أنت مش عارف ازاي!! بس احنا هنعمل فيك جِميلة ونقولك، مدثر اللي كان معانا المرة اللي اتخانقنا فيها معاكم، شوية عيال طلعوا عليه وضربوه بالسكينة في جنبه، ومفيش غيركم اللي له مصلحة من ورا ا كله.

تدخل أحد الأشقاء والذي يُدعى «مصعب» قائلًا:

_لأ كدا كخ يا بابا، احنا لما نحب نضرب بيبقى Face to face، لكن جو اضرب واجري دا مش بنحبه لأ.

قطب «سليمان» جبينه متسائلًا:

_يعني إيه!!!

تحدث «يعقوب» مُتدخلًا:

_يعني مش احنا اللي عملنا كدا مع صاحبكم دا، احنا ولاد حارة اه بس مش بلطجية.

كان «هارون» يُتابع الموقف من البداية دون تدخله، يريد أن يرى ردة فعل أبنائه الرجال وكيف سيتعاملون مع الوضع، وللحقيقة شعر بالفخر حيالهم، تقدم منهم مُستندًا على عكازه ثم وقف أمام الشباب هاتفًا:

_أظن خدتوا جواب لكل أسئلتكم، وولادي عداهم العيب وأزح.

شد «سليم» على خصلاته بغضب يُفكر في حل لتلك المعضلة، يستشف منهم صدقهم وبنفس الوقت قلبه يتآكل على صديقه.

وعلى بُعد منهم، كان «بدير هارون» يجلس على مقعد القهوة يُتابع هذا الشجار بتسلية كبيرة أثناء تناوله لقطع البسكويت مع الشاي الساخن، وبعدما أنهاه قام بالنداء على صبي القهوة بصوت عالي هاتفًا:

_واد يا ريشة، أنت يـــاض يا ريشة!!!

أتى إليه المدعو «ريشة» بضجر، والذي كان يُتابع الشجار هو الآخر قائلًا بحنق:

_اؤمر يا معلم!!

أملى عليه «بدير» طلبه قائلًا:

_هاتلي ياض كوباية موز باللبن أعمل بيها مزاج عشان أنا نفسي اتفتحت.

حدجه الآخر بصدمة وهو يشير تجاه أشقائه:

_بس يا معلم اخواتك بيتخانقوا وأنت قاعد لمؤأخذة كدا!!!

سدد له «بدير» نظرة نارية وهو ينهره بعنف:

_يعني إيه أنا قاعد كدا!!! أنت متعرفش إن دوري في الخناقة دي أهم منهم كلهم ولا إيه!!

تسائل «ريشة» بإهتمام:

_إزاي يا معلم!!

شرح له «بدير» بعقل مدبر ومخطط:

_يا غبي أنا بفضل اتفرج وأشوف أدائهم عامل إزاي في الخناقة عشان أنبههم بعد كدا عن الأخطاء اللي عملوها في المرة الأولى.

حدجه باستنكار شديد فاتحًا فمه ببلاهة، ثم أردف بعقل مشوش من حديثه الأبله قائلًا:

_أنا هروح أجيبلك الموز باللبن أحسن يا معلم.

في تلك الأثناء صعد رنين هاتف «رياض» والذي أجاب مسرعًا عندما وجد أن المتصل هو عمه يزن:

_أيوا يا عمي خير حصل حاجة!!!

جاءه صوت «يزن» الحاد وهو ينهره بعصبية شديدة تعجبها:

_أنت فيــن أنت والبشوات التانيين!!! مختفيين ومش حاسين بالمصيبة اللي حصلت هنــا!!!!

تسائل «رياض» بريبة وهو يوجه أنظاره لتلك الأعين المُحدقة به:

_مصيبة إيه يا عمي!!!

_مدثر دخل في غيبوبة.

«يُـتـْـبَـع»

#جنون_تحت_السيطرة.

|شروق حسن|♡🕊

«الفصل السادس»

«جنون تحت السيطرة»

بعد مرور شهر..

عاد «سليم» للڤيلا الخاصة بأبيه مُنهك للغاية، بعدما قضى طيلة هذا الشهر جانب «مدثر» الذي لم يستيقظ من غيبوبته حتى الآن، الجميع في حالة من الصدمة حتى كادوا أن يُصابوا بالجنون، خاصةً والديه و"لوچي" التي تقضي أيامها في بكاءٍ مستمر.

صعد الدرج بتعب مُقررًا الإستحمام وتغيير ثيابه ثم العودة لصديقه مُجددًا للمبيت معه كما اعتاد، قابل في طريقه «هايدي» والتي من المفترض أن تكون زوجته الآن، لقد تم إلغاء الزواج بسببها هي، وقفت أمامه تقطع طريقه لينفخ هو بنفاذ صبر سائلًا إياها بحدة:

_عايزة إيه؟!

قطبت جبينها بغضب وهي تسأله:

_في إيه يا سليم إيه المعاملة دي؟!

ضرب على جانب رأسه مجيبًا إياها بسخط:

_بقولك إيه حِلي عن نفوخي أنا مش ناقصك، ولو هتتكلمي في نفس فأنا خلاص قُلت اللي اللي عندي، أنا خلاص مش عايزك.

تجمعت الدموع بعيناها ثم اقتربت منه تحاول استعطافه:

_يا سليم أنا لسه بحبك.

تشنج وجهه باستنكار مُبتعدًا عنها وهو يُردف باستنكار:

_بتحبيني!! بتحبيني لدرجة إنك لغيتي الجواز قبل الفرح بأسبوع!!

ارتعشت شفتيها ببكاء حقيقي تلك المرة مُخبرة إياه:

_مكنش قصدي.. أنا كنت خايفة وحاسة إني مش هقدر أشيل المسؤولية.

رسم ابتسامة ساخرة على ثغره وهي يهز رأسه نافيًا:

_لأ أنتِ مكنتيش خايفة، أنتِ سمعتي كلام صحابك اللي قالولك اتقلي عليه عشان تشوفي بيحبك قد إيه، وأنا اللي كنت زي العبيط بخاف على زعلك وكانت دموعك عندي أغلى من حياتي، بقيتي تستغلي حبي ليكِ ومفكراه ضعف

مني، لكن أنا مش شغال عند الهانم اللي عملتني رهان قذر في إيديها مع صحابها، وأنا دلوقتي اللي مش عايزك، حبك اتمحى من قلبي بأستيكة ولا كأنه كان موجود، ودلوقتي أنتِ زي أختي وبس، ولولا إن عمو مصطفي صديق مخلص لبابا أنا كان هيبقى ليا تصرف تاني معاكِ.

أنهى كلماته ثم استكمل صعود الدرج بجمود شديد، تاركًا إياها تأكل أظافرها من الندم وخسارتها إياه، دلف «سليم» للغرفة يفك أزرار قميصه بإختناق كلما تذكر ما فعلته، كان صادقًا في كل كلمة قد قالها لها، هو حقًا لم يعد يُفكر بها، احتلت قلبه أخرى سلبته بعفويتها ورقتها، عازمًا على التقدم إليها عندما يتعافى صديقه تمامًا.

القلوب تترابط بأنسجة من الحب والصداقة، وقلوبهم تربطهم روحًا واحدة لكن بجسدين مختلفين، اقتربت «لوچي" من فِراش «مدثر» النائم بلا أي ردة فعل، جلست جانبه على المقعد المجاور لفراشه مُمسكة بكف يده بحنان، هبطت برأسها على يده تُقبلها بإشتياق، خرجت شهقة منها أثناء بكاؤها وهي تخبره بهمس خافت:

_مكنتش أعرف إن قلبك قاسي عليا أوي كدا، بقالك شهر نايم كدا ومش عايز تشوفني!! قوم نفسي أسمع صوتك، أنت متعرفش مدثر بالنسبة لـلوجي إيه!! مش عارف غلاوتك عندي عشان تحرمني منك لشهر كامل!! طيب.. طيب أنا موحشتكش!! مش عايز تشوف لوچي حبيبتك!! رُد عليا يا مدثر وكفايا وجع، أنا تعبت وأنا شايفاك كدا.

دلفت الممرضة التي حدجتها بشفقة واضعة يدها على كتفها تواسيها بود:

_اهدي يا آنسة هو كويس والله ومؤشراته الحيوية كلها سليمة، هي مسألة وقت مش أكتر.

رفعت «لوچي» عيناها المُملتئة بالدموع ثم سألتها بخوف:

_طيب هو مش عايز يصحى ليه؟! أنا خايفة عليه، والله أنا خايفة أوي..

حولت أنظارها إليه مجددًا وهي تهزه تلك المرة بعنف وعقل يرفض حالته ومكوثه هذا:

_قـــوم يا مدثـــر ومتسبنيش كـــدا، حـــرام عليك كفاية بقـــــا.

توترت الممرضة من حالتها لذلك هرعت للخارج مُنادية الطبيب والذي جاء مسرعًا ومعه مُمرضتان أخريتان، ليجد تلك التي تبكي بعنف تطلب من ذلك النائم أن يستيقظ الآن، أشار للمرضتان بإشارة يفهماها جيدًا، فذهبوا تجاهها مُقيدين حركتها التي زادت لمقاومتهما، فاقترب الطبيب مُسرعًا غارزًا إبرة من المُهديء في ذراعها، وثوانٍ كانت تميل على الجانب برأسها.

تم نقل «لوچي» لغرفة عادية في نفس الطابق الخاص بغرفة «مدثر» وسط إنهيار بقية العائلة لرؤيتها هكذا، جلست «زهر» بجانبها تُمسد على خصلاتها وهي تبكي، وعلى الجانب الآخر يجلس «فارس» الذي ينظر أمامه بشرود، لا يعلم ما الذي سيحدث بعد الآن، لقد طالت فترة إحتجاز «مدثر» وابنته تفقد روحها شيئًا فشيئًا.

بالخارج... أحاط «ريان» زوجته التي كانت تبكي بكاءً شديدًا، كانت تكتم بكاؤها لأسبوعٍ مضى تقريبًا، وعندما رأت «لوچي» في تلك الحالة بكت وانفجرت أخيرًا.

مسد على ظهرها بحنان أثناء دفنها لوجهها في صدره، خرج صوته هامسًا ليُهدئها بحزن دفين:

_اهدي يا حبيبتي، هما الاتنين هيبقوا بخير صدقيني، كفاية عياط بقى أنا مش قادر اتحمل وقع قلب أكتر من كدا.

صمتت «غزل» ثم رفعت أنظارها تُطالعه بترقب قائلة بحذر:

_مالك يا حبيبي!! أنت كويس يا ريان؟!!

ابتلع «ريان» تلك الغصة المؤلمة التي بحلقه، ثم هز رأسه نافيًا وطبقة كثيفة من الدموع تشكلت في عيناه، ليخرج صوته مُتحشرجًا:

_حاسس إن روحي بتروح مني، أنا قلبي بيوجعني بطريقة تخوف وأنا كل دا ومستحمل، بس مبقتش قادر.

سحبته من يده ثم أجلسته على المقعد الموجود في آخر الرواق، جلست بالقرب منه ثم قالت ببكاء:

_متخوفنيش عليك، حاسس بإيه يا ريان!! عايز إيه وأنا أعملهولك بس تكون كويس؟!

أجابها بضعف وهو يرمي برأسه على كتفها:

_عايز ابني.

استندت برأسها على خاصته وبكت بصمت معه، وبعد ثوانٍ خرج صوتها قائلة بوهن:

_وأنا كمان عايزة ابني.

شعرت «غزل» بدموع «ريان» تسقط على كتفها حيثما يستند برأسه، وما أكد لها هو اهتزاز جسده الذي اشتد كثيرًا، ولسوء حظها لم تجد ما تواسيه به، فهي أيضًا ضعيفة مثله تمامًا، أغمضت عيناها ببكاء ثم أحاطته مُقبلة خصلاته بحنان وكأنها تواسيه بصمت، وكأن «مدثر» نام كل تلك الفترة ليعرف مدى حبهم الشديد إليهم، هو كان وسيظل بهجة عائلتهم الأولى، بِكرهم الأحب والأقرب لهم على الإطلاق.

عاد «سليم» للمشفى مرةً أخرى وكاد أن يدلف للداخل فوجد الشباب جميعهم جالسين على الأرض الخضراء بالحديقة الخاصة بالمشفى، سار تجاههم حتى وصل إليهم، وبدون أن يتحدث جلس جانبهم بصمت.

مر الوقت عليهم دون أن يشعروا، فقط شاردين لا يفعلون شيء سوى الصمت، وأخيرًا صعد صوت «عدي» الذي تسائل بحزن:

_تفتكروا هيفوق امتى؟!

أجابه «إسحاق» مُبشرًا إياهم:

_قريب بإذن الله، قريب أوي كمان بس انتوا قولوا يارب.

آمن الجميع على حديثه وقلوبهم تنبض بألم، هم ليسوا فقط كأصدقاء، هُم أكثر من أخوة، تحدث «رياض» ببسمة واسعة لكنها حزينة، مُذكرًا إياهم بطفولتهم المشاكسة:

_فاكرين واحنا صغيرين لما كنا بنتجمع في بيت عمي يزن!! كنا بننزل تحت السُفرة ونقرصهم وهما مش عارفين مين اللي بيعمل كدا.

اتسعت ابتسامتهم تدريجيًا وزاد الحنين لتلك الأيام التي افتقدوها كثيرًا خاصةً الآن، شعور الدفئ الذي كان يُحاوطهم وهم صغار مازال مُسيطر عليهم للآن، وهنا خرج صوت «سليم» ضاحكًا:

_ولما في مرة بابا قفش مدثر وهو بيبوس لوچي تحت السُفرة.

تدخل «سليمان» ضاحكًا بدموع تشكلت في عيناه رغمًا عنه:

_ولما مدثر اتعورت في المدرسة عشان كان بيدافع عننا واحنا صغيرين.

سحب «سليم» رأسه له قائلًا بقوة:

_اجمد ياض كدا وخلي عندك أمل في ربنا كبير، كل دي ذكريات حلوة عملناها عشان نفتكرها ونضحك بعدين، مش

علشان نعيط يا أهبل، ولما مدثر يفوق هنفتكرها كلنا ونفكره بمصايبه وهو صغير.

مسح «سليمان» دموعه قائلًا بإشتياق:

_وحشني أوي الجذمة، مكنتش أعرف إن غلاوته غالية عندي كدا.

أخرج «عدي» زفيرًا قوي من داخل صدره مُجيبًا إياه بألم:

_كلنا يا سليمان، وحشنا كلنا ونفسي يرجع وسطنا من تاني.

صمتوا جميعًا مرة أخرى وهم يتذكرون أوقاتهم المرحة معًا، كانت طفولتهم بريئة للغاية، لا يوجد بها حزن أو ألم، يشتاقون لتلك الأيام التي مرت سريعًا، يشتاقون لذاتهم القديمة، والأهم.. يشتاقون لمدثر كثيرًا.

انتفض «إسحاق» من مكانه ثم نظر إليهم متحدثًا بأمل:

_تعالوا يا شباب نروح نصلي وندعيله، تعالوا نطلب من ربنا يرجعلنا أخونا وسطنا من تاني، وأنا واثق إن ربنا مش هيخيب دعائنا ولا ثقتنا أبدًا.

استحسن الجميع اقتراحه فهبوا من أماكنهم أيضًا مُتجهين إلى المسجد، وأثناء سيرهم أحاط «رياض» بـ«سليمان» ضاربًا إياه في معدته بمرح:

_متكشرش كدا ياض وخليك فريش الفرافيش، متبقاش بومة كدا.

تلك المرة ضحك «سليمان» عاليًا، وداخله يشكر الله على وجود مثل الصحبة التي تُهون عليه الكثير، دلف الجميع للمسجد بقلوب خاضعة لله عز وجل، وبدأوا في الوضوء مُرددين بصوت هامس "اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين".

انتهوا ثم خرجوا من المرحاض بهدوء، يشعرون بالراحة في بيت الله، تلك السكينة التي تحتضن قلوبهم لتُربت عليها جعلتهم مُتيقنين بحُسن اختيارهم، وبعدها أقاموا الصلاة بنية شفاء صديقهم الحبيب، وبعدما انتهوا دعوا بفؤاد يرجو المولى عز وجل لإستجابة دعائهم، خائفين نعم، لكن مُتيقنين أيضًا.

رفع «سليمان» يده يدعو بصوت عالٍ نسبيًا وهُم يؤمنون خلفه:

_اللهم اشفي لي صديقًا كان بمثابة أخً لي.

_آمين.

_اللهم لا تُريني فيه ما يضره.

_آمين.

_اللهم أنت الشافي المُعافي الصادق الأمين فتقبل مني يا الله.

_آمين.

_اللهم اغفر له ذنوبه أولها وآخرها واجعله من عبادك الصالحين.

_آمين.

_اللهم أنت السلام ومنك السلام فأنزل السكينة والسلام على قلب رفيقي.

_آمين.

وهل كنتم تظنون أن الخالق سيرد أيديهم وهي فارغة؟! وها قد جاءت الإستجابة الإلهية عندما اهتز هاتف «إسحاق» برنين خافت فوجده أبيه، أجاب بشيء من الخوف قائلًا بارتعاشة:

_السلام عليكم يا بابا.

أتاه صوت «موسى» الذي هلل بسعادة:

_وعليكم السلام يا حبيبي، أنت فين مدثر فاق.

هاربة من العالم إلى الظلام، تُفضل غيبوبتها بدلًا أن تعيش حياةً بدونه، أنفاسه كانت أكسير الحياة بالنسبة لها، وعندما سكن؛ سكنت روحها هي الأخرى، فاختفت معالم الحياة منها.

كانت «لوچي» مُتسطحة على فراش المشفى مُغمضة لعيناها لكنها مُستيقظة الذهن، هبطت دموعها بألم من بين جفنيها، لا تريد إكمال أيامها بدونه، ورغمًا عنها خرجت شهقة مُتألمة منها نتيجة لبكاؤها، لم تُلاحظ غياب والداها، كانت شاردة الذهن وعقلها معه هو فقط.

دلفت المُمرضة التي كانت معها من قبل فوجدتها تبكي بصمت، اقتربت منها مُقررة إخبارها عن استيقاظ زوجها علها تصمت قليلًا، وضعت يدها على كتفها تهزها بخفة قائلة:

_اهدي يا آنسة وكفاية عياط، المريض الحمد لله فاق.

توقفت عن البكاء بغتةً، وفتحت عيناها مُسرعًا ناظرة إليها بعدم تصديق وهي تسألها بلهفة:

_بتقولي إيه!!

لاحظت تبدل حالتها قي ثوانٍ، لذلك أعادت عليها حديثها مبتسمة:

_بقولك إن المريض اللي كنتِ عنده فاق من شوية..

لم تستمع لباقي حديثها حيث انتفضت من مكانها مُهرولة للخارج بخطوات غير مُتزنة، يقتلها الشوق لإحتضانه والإرتماء بين ذراعيه ليُطمئنها، تريد أن تشعر به وتتلمسه، تريد أن ترتاح هي وقلبها.

قبل قليل...

تم نقل «مدثر» لغرفة عادية عندما تم فحص مؤشراته الحيوية والإطمئنان عليه، دلفت «غزل» أولًا فوجدته

مُستندًا بظهره على الفراش ويظهر على محياه التعب الطفيف، اندفعت له مُحتضنة إياه وللأسف لم تستطيع السيطرة على دموعها.

أحاطت بوجهه بكلتا يديها مُقبلة كل إنش به وهي تُردد بالحمد لسلامته، هدئها «مدثر» بخفوت مُحتضنًا إياها بحرص قائلًا:

_بس اهدي يا ماما أنا كويس.

أحاطته «غزل» بقوة ثم انفجرت في البكاء، وهو لا يفعل شيء سوى تهدئتها، ابعدها قليلًا مُقبلًا جبينها، وبأنامله مسح دموعها الغزيرة التي تملأ وجهها بقوة مش شدة البكاء، ليقول بصوت خفيض مازح:

_إيه الدموع دي كلها يا غزالة، سيبتي إيه أنتِ عشان تنكدي على بابا؟!

لما تُبالي «غزل» بحديثه، بل خرجت من أحضانه تتفحصه بعناية وهي تتسائل ببكاء:

_أنت كويس صح؟! حاسس بحاجة بتوجع؟!

وتلك المرة أدمعت عيناه، حبها صادق لا يوجد به ذَرة كذب، دائمًا ما سيشكر والده على جلبه لتلك النعمة للمنزل، تعامله

كأبنه بل وأكثر، دائمًا ما كان يسمع عن جشع زوجة الأب لكنها مُختلفة تمامًا، مسح دمعاتها مُتحدثًا بتحشرج:

_علشان خاطري اهدي أنا كويس والله يا ماما.

عانقته مرة أخرى قائلة بتحشرج:

_وحشتني يا نور عيني أوي، الدنيا كانت وحشة من غيرك أوي.

كل ذلك وكان «ريان» يُتابعهم بثبات، يشعر بأنه تماسك كل تلك الأيام غِبطةً، والآن يريد الإنهيار وإخراج ما بجبعته، رفع «مدثر» أنظاره لوالده فوجده يكتم دموعه بصعوبة، رسم ابتسامة طفيفة على ثغره ثم تسائل بحنين:

_موحشتكش يا بابا.

أغمض «ريان» عيناه بقوة يمنع بكاؤه ولا يعلم بماذا يُجيب ذلك المُغفل، وقفت «غزل» تبتعد عن فراش ابنها، ثم اتجهت نحو «ريان» مُمسكة بيده الباردة بشدة أثر هروب الدماء منها، ثم تحدثت بصوت مُشتاق:

_مدثر فاق يا ريان، ابننا بقى كويس.

حدجها «ريان» بتيهة وكأنه لا يُصدق وجوده حتى الآن، اقترب رويدًا من فراشه حتى جلس جانبه على الفراش الكبير نسبيًا، مُتسائلًا بتحشرج:

_أنت.. أنت كويس!!

هز «مدثر» رأسه بنفي ثم أردف بحنين:

_لأ مش كويس، محتاج تحضني.

أنهى حديثه فوجد ذاته مُحاضر بين ذراع والده الذي احتضنه بقوة شديدة، وهو لم يُمانع، بل بادله العناق بآخر أشد وكأنه يروي ظمأ تلك اللحظات التي قضاها يُقاوم الألم بدون وجوده، حينها تذكر تلك اللحظات عندما كان صغيرًا ويُجرح جُرحًا صغيرًا، كان يهرول لوالده الذي يستقبله بحنان يُقبل محل إصابته وكأنها ستلتئم بعد تلك القُبلة، وللعجب كانت تلتئم بالفعل؟!

هبطت دموع «ريان» كمان هبطت دموع «مدثر» هو الآخر، علاقتهم ليست مجرد علاقة بين الأب وابنه، بل علاقة صداقة أيضًا مبنية على الحب المتبادل بينهما، حيث كان «ريان» بالنسبة لـ«مدثر» كرفيق الدرب، يعشقه حتى أكثر من ذاته، ولو عاد الزمان لبادله نفس الحب ولكن أكثر.

_أنت كويس!!

همسة خرجت من فم «ريان» المُحتضن لإبنه الباكي، ليومأ له «مدثر» بنعم ثم أجابه بعاطفة جياشة:

_بقيت كويس بعد ما شوفتك، أنت اللي بتشحني طاقة عشان أعرف أكمل، طول ما أنا كنت نايم كنت سامع صوتك وأنت بتعيط مش قادر أقوم، وكأن فيه حاجة بتشدني وبتمنعني، وكمان شوفت... اا..

حثه «ريان» على التحدث وكذلك «غزل» التي تقف على الجانب الآخر منهما:

_قول يا حبيبي شوفت مين!

أجاب بصوت خفيض حرج:

_شوفت ماما الله يرحمها.

قال الأخيرة وهو ينظر لـ«غزل» يرى تعابيراتها، ظن أنها ستنزعج أو تغار، لكنه وجدها تبتسم له بحنان شديد، هبطت على جبينه تُقبله بحب أموي قائلة:

_مفكرني هزعل صح؟! بشكر مامتك من كل قلبي أنها خلفت ولد قمر زيك كدا، ودايمًا بدعيلها بالرحمة، عمري ما أكرهها أو أغير منها، بالعكس أنا كل ما أشوفك أنت وأبوك وأختك بدعيلها من قلبي على النعمة اللي سابتها ليا دي.

_وطي كدا شوية يا غزالة أقولك كلمة سر.

انخفضت له «غزل» بضحكة خفيفة من طريقته المرحة، فوجدته يطبع قبلة قوية على وجنتها ثم أردف بعدها:

_بحبك يا غزالة والله.

_ما توسعوا بقى خلوني أحضن أخويا كفاية كدا.

قالتها «منار» بشيء من الشوق والإنزعاج كما بقية العائلة، فابتعدت لها «غزل» ضاحكة تاركة إياها تحتضن أخاها بشوق وحنين شديدان، وأتبعت العناق بقولها المازح حتى لا تهبط دموعها بتأثر:

_وحشتني ياض يا مدثر والله، في الفترة دي حسيت بقيمتك أوي وعرفت قد إيه أنت غالي عندي.

ضحك «مدثر» بخفة وهو يحتضنها اكثر:

_والله؟! وعرفتي إزاي بقى؟!

أجابته ببلاهة:

_غزل بقالها شهر معملتش المكرونة بشاميل بسببك، فعرفت قيمتك بقى.

دفعها حانقًا بعيدًا عنها مُردفًا بإستنكار:

_طب غوري بقى أبو دمك يا شيخة.

ضحك جميع من بالغرفة بمرح، واقترب «فارس» الذي فتح ذراعه له بشوق يشوبه المزاح:

_منور الدنيا كلها يا غالي يابن الغالي، هات بوسة ياض وحشتني.

قهقه «مدثر» عاليًا ثم احتضنه هو الآخر مُجيبًا إياه بعبث:

_وأنت كمان وحشتني يا غالي يا أبو الغالية.

_سافل وهتفضل طول عمرك سافل يابن ريان.

جاء الجميع من خلفه فيما هم أعمامه وزوجاتهم وكذلك الفتيات اللواتي رحبوا به بلهفة وسعادة جلية، دار «مدثر» بعيناه متسائلًا بإستغراب:

_فين لوجي!!!

نظر له الجميع بصمت ولم يُجيبوه، وبالطبع لن يخبروه بأمر مرضها وانهيارها العصبي الذي دلفت به دون قصد بسببه، لذلك تحدث «ريان» بهدوء:

_هي تعبانة شوية بس عشان كدا روحت ترتاح.

انتفض قلب «مدثر» بهلع متشدقًا بخوف:

_إيه!! تعبانة مالها يعني!!

وما كاد أن يُجيبه بكذب، حتى وجد باب الغرفة يُفتح على مصرعيه و«لوچي» تدلف منها بنظرات لاهفة تبحث عنه، توقفت فجأة عندما وجدته جالسًا أمامها على الفراش، ابتسمت تزامنًا مع هطول دموعها بكثرة، وهمسة واحدة خرجت بإسمه بعدم تصديق أثناء انطلاقها لإحتضانه:

_مدثر.

التمعت عيني «مدثر» بعشق جارف عند رؤيتها، وكأنه لم يراها منذ عدة أعوام ليس شهر واحد، فتح ذراعه يحثها على الإقتراب منه، وبالفعل لبت رغبته عندما هرولت إليه مُحتضنة إياه بقوة بالغة، وكأنها تريد إدخالها داخل قلبها لتُغلق عليه ولا تسمح له بالخروج، علت شهقاتها وزاد بكاؤها وهي تُتمتم ببعض الكلمات الغير مفهومة بسبب بكاؤها، هدهدها بحنان مُربتًا على ظهرها بهدوء، وتارةً أخرى يُقبل رأسها من أعلى حجابها المُشعث بحنان، وأخيرًا خرج صوته الحنون قائلًا:

_كفاية عياط يا روح قلبي عشان خاطري، أنا كويس والله.

كانت تحتضنه بقوة وكأن ما يقوله لا يكفي لطمأنتها، خرج صوتها هامسًا ببكاء عنيف ترجوه:

_متسبنيش تاني يا مدثر.

قبلها من جانب عنقها أثناء احتضانه لها مجيبًا إياها بهمس:

_مش هسيبك أبدًا يا عيوني، خلاص عشان خاطري.

_أوعدني إنك مش هتسيبني.

قرر مشاغبتها حتى تكف عن البكاء، فأردف بعبث ماكر تعشقه هي حد اللعنة:

_لن أتركِ يا لبابة القلب.

ضحكت بخفة وهي بين ذراعيه، فأخرجها من بين أحضانه مُجففًا دمعاتها بهدوء أثناء قوله المُشاكس:

_بقى العيون الحلوة دي تعيط عشاني!! يا ستي هاتي بوسة بقى عشان أصالحك.

وبالفعل قبلها من وجنتها اليُمنى أمام الجميع دون ذَرة خجل، وبعدها اليُسري، وكاد أن يقترب أكثر حتى شعر بيد «فارس» تقبض على تلابيه صارخًا به بضيق زائف:

_أنت هتعمل إيه يلا سيب البت، هتخدش حيائها كدا.

نظرت «لوچي» لوالدها بضيق بعد أن مسحت أهدابها من الدموع العالقة بها، ثم أردفت بسخط:

_يــوه!! ما تسيبه يا بابا يبوسني!

أيدها «مدثر» ضاجرًا:

_أيوا.. ما تسيبني يا عمي أبوسها!!

أنهى حديثه ثم استدار لها يجذبها لأحضانه مرة أخرى وهو يقول:

_تعالي يا روح الروح في حضني وميهمكيش حد.

أشار "فارس» لـ«ريان» بضجر تجاه «مدثر» هاتفًا بصياح:

_شايف ابنك وتربيته!! ما تلم ابن يا ريان.

تأفف «ريان» وهو يجيبه:

_ما تسيبه يبوسها يا فارس الله؟! الواد لسه طالع من غيبوبة وعايز يطري على قلبه يا جدع.

_أنا بتكلم معاك أنت وابنك ليه، أنا هاخد بنتي ونمشي من هنا.

جذبها من يدها لتتشبث بـ«مدثر» أكثر وهي تنفي برأسها:

_لأ أنا هفضل مع جوزي هنا.

تشكلت ابتسامة بالهة على ثغر «مدثر»، فأدار وجهها إليه قائلًا بهيام:

_قولي جوزي كدا تاني.

أخفضت «لوچي» رأسها للأسفل قائلة بحرج:

_بس بقى يا مدثر بتكسف.

تشنج وجه «فارس» وهو يردد خلفها كلمتها الأخيرة:

_بتكسف!!!!!!!!

وعلى بغتة منها ومنه جذبها لتقف جانبه مُثبتًا إياها، ثم كز بين أسنانه بغضب:

_كلمة سافلة كمان منك ومنه وهخليه يطلقك، يخربيت قلة الأدب يا جدع أنت وهي.

استمع الجميع لضجة وفوضى قادمة من الخارج، تبعها دخول الشباب جميعًا وهم يصيحون بمرح:

_كفـــــــــارة يا نمس... صاحبي اللي مني... حبيب قلبـــــي... تتجوزني ياض!!

والكلمة الأخيرة خرجت من فم «رياض» الذي قالها ببلاهة، لينظر الجميع له بإشمئزاز وشك استعجبهم، وثوانٍ كان الجميع ينفجرون في الضحك، وعلى بغتة هجم الخمس شباب على «مدثر» يحتضنوه باشتياق جارف، فصاح مدثر بنفس مكتوم وهو يلهس:

_الحقوني.. هموت بجد المرادي يخربيت التحرش.

أبعد «ريان» الشباب عن ابنه ثم صاح بما جعل الجميع يُصيح بسعادة:

_اعملوا حسابكم فرح «مدثر ولوچي» آخر الأسبوع دا، يعني بعد يومين من النهاردة.

«يُـتْـبَـع»

#جنون_تحت_السيطرة.

|شروق حسن|

_جنون تحت السيطرة.

_متيمة بنيران عشقه 2.

_الفصل السابع والأخير.

جاء اليوم الذي سيخرج به «مدثر» من المشفى، تجمعت جميع العائلة في الغرفة المُحتجز بها رغم إعتراض الطبيب على ما يفعلونه من ضجة وأصوات عالية، لكن «يزن الراوي» استخدم نفوذه وعلاقاته الكبيرة لتركهم كما يشاءون.

كانت الغرفة تعج بالضجة من أحاديثهم الكثيرة، حاول «سليم» التحدث لكنه لم يستطيع بسبب أصواتهم العالية، لذلك صاح بهم بصوت عالي:

_اسكتوا بقـــى خلوني أقول أم الكلمتين اللي عندي.

تلك المرة انتبه له الجميع صامتين بتعجب، نظر «سليم» لأبيه متسائلًا:

_هتتكلم أنت يا بابا ولا اتكلم أنا!!

أشار له "يزن" بسخرية لاويًا شفتيه باستنكار:

_اتكلم أنت ياخويا، أنا مش عارف أنت مستعجل على إيه!.

حمحم «سليم» ينظف حنجرته حتى يصعد صوته واضحًا، ثم نظر للجميع وتوقفت أنظاره على "شهاب" الذي يُتابعه بإهتمام كالبقية، ثم أردف مُوجهًا حديثه له بإحترام:

_بعد إذنك يا عمي أنا طالب إيد بنت حضرتك "جميلة".

نظر "شهاب" خلفه ببلاهة صامتًا لبرهة، وبعدها تمتم ببلاهة:

_محدش ورايا، أومال بيكلم مين؟!!

أشار لذاته وهو يتحدث بغباء:

_أنت بتكلمني أنا يابني.

علق عليه "يزن" ساخرًا:

_لأ بيكلم أبوه يا "شهاب"، على العموم هو مش بياخد رأيك هو بيعرفك بس، ابني كدا كدا هيتجوزها، احنا قولنا نعمل بالأصول ونقولكم.

لوى "شهاب" شفتيه ساخرًا مردفًا بتأثر زائف:

_لأ كتَّر خيركم والله، متنسوش تعزموني بقى.

أجابه "سليم" بثقة مؤكدًا له:

_متقلقش يا عمو أنا ابن أصول ومتربي برضه وأكيد هعزمك.

هُنا واعترض "إسحاق" صائحًا بحنق:

_وأنا كمان عايز أتجوز اشمعنا أنا؟!

حدجه "موسى" بإستنكار ثم هتف بتشنج:

_وأنت ملكش أهل يا روح خالتك ولا تكون لقيط وأنا مش عارف؟!!

جعد "إسحاق" جبينه بضيق بعد أن أمسكه أبيه من تلابيبه، ليُحاول فك حصاره وهو يقول مُبررًا:

_والله كنت هقولك يا والدي بس مجتش فرصة الله!!

دفعه "موسى" بعيدًا عنه سائلًا إياه:

_وعايز تتجوز مين بقى إن شاء الله؟!

رسم "إسحاق" إبتسامة بلهاء على ثغره، وبعدها وجَّه حديثه لـ"أحمد" الذي يُتابع الحديث كالبقية، ثم أردف بحماس:

_أنا طالب إيد بنتك "حور" يا عمي تكون زوجة ليا وأم لعيالي وجدة لأحفادي وشريكتي في قبري بعون الله.

ورغم صدمة "أحمد" في البداية، إلا أنه لم يتفاجأ كثيرًا، فقد كان يرى نظراته العاشقة لإبنته وهو أدرى بتلك النظرات، أشاح بيده أمام وجهه ثم أردف حانقًا:

_خُدها ياخويا لو عايز من دلوقتي.

هبّ "إسحاق" من مجلسه بجانب أبيه، ثم ذهب إليها حيث تقف بجانب أبيها يرتسم على محياها الخجل:

_إي دا بجد عادي كدا؟!!!

وما كاد أن يمد يده وينتشلها من جانبه، حتى منعه "أحمد" الذي هتف بسخط صارخًا به:

_ارجع ورا يا حيوان أنت ما صدقت؟!!

عاد "إسحاق" مكانه مرة أخرى بضجر غافلًا عن تلك التي تكاد أن تنصهر من الخجل، وهُنا صعد صوت "سليمان" حانقًا والذي أردف وهو ينظر لأبيه:

_أبا وأنا كمان عايز أتجوز.

وما كاد أن يُجيبه أبيه؛ حتى صدحت الزغاريد تملأ المكان من فم "ميران" والتي اتجهت إليه بسرعة تحتضنه قائلة:

_ألف مبروك يا روح أمك، ألف مبروك يا حبيبي.

صعد صوت "محمود" المُستنكر قائلًا:

_طب أروح أنا أدفن نفسي طالما معنديش رأي؟!

شهقت "ميران" بعنف من حديثه، وبوقاحة اعتاد عليها الجميع اقتربت منه بعد أن دفعت "سليمان" الذي حدجها باستنكار، قائلة بحب:

_يقطعني اخس عليك متقولش كدا يا "حودة"!.

تحدث "ريان" بعبث وقح قائلًا بمساكشة لـ"محمود":

_طب إيه يا كبير! نسيبلكم الأوضة ونمشي!!

حمحم "محمود" بحرج من أفعال زوجته المعتوهة، فنظر لإبنه سائلًا إياه ليُغير مجرى الموضوع كُليًا:

_وأنت عايز تتجوز مين يا "سليمان".

أجابه "سليمان" بوله:

_الحب الحب.. الشوق الشوق.. بولوبيف بولوبيف.. عايز أتجوز "ميادة" يا حج.

أحنت "ميادة" رأسها بخجل شديد من أنظار الجميع المُصوبة عليها، ورغم فرحتها العارمة إلا أنها لم تستطيع التعبير عنها في وجودهم، تحدث "معتصم" براحة والذي كان يُجاور "سجود" في جلسته:

_طيب كدا الحمد لله واحدة وهتتجوز، عقبال التانية بقى.

حدجته "زينب" بإستنكار شديد، وبعدها تفوهت قائلة بما صدم الجميع:

_طب أنا كمان عايزة أتجوز بقى إشمعنا أنا.

ظن الجميع أن "معتصم" سيغضب، لكنه أطلق زغرودة من فمه تبعه قوله المُهلل:

_يا فرج الله، البنتين هيغوروا في ليلة واحدة، بركة يا جامع.

نكزته "سجود" بخفة في جانبه ليصمت، ثم استدارت لإبنتها تسألها بترقب:

_وأنتِ عايزة تتجوزي مين يا "زينب" ياختي؟!

أجابتها "زينب" بحماس:

_الواد صاحب "سليمان"، وكان هيجي يتقدملي بس منه لله "مدثر" بوظلي السبوبة.

لوى "مدثر" ثغره بتشنج قائلًا:

_تسلمي يا متربية يا بنت الأصول.

ضجر "رياض" منهم والذي قال باقتراح ونبرة مرحة:

_كدا مفاضلش غيري أنا و"رهف" فأنا هتجوزها عشان بسكوتة زيي و...

وما كاد أن يُكمل حديثه، حتى وجد حذاء "شهاب" يحتضن وجهه بقوة، تبعه صوت "شهاب" الحانق:

_عايز تتقدم للبت اتقدملها بإحترام، مش هيبقى أنت والمُهزق التاني.

حكَّ "رياض" وجهه بألم صائحًا بحنق:

_جرا إيه يا عمي مش كدا الله؟! على العموم عمي "يزن" هيقول لبابا وهتجوز مع "سليم".

صفق "ريان" بيده ليجذب إنتباه الجميع وبالفعل حصل على مراده، وبعدها أردف بصوت جاد وبه بعض المزاح:

_طيب بما إنكم قررتوا تدخلوا عِش الزوجية مع بعض، قررت أنا.. وأعوذ بالله من كلمة أنا.. "ريان الطحاوي"، إن الأسبوع الجاي هيكون فرح "مدثر وعدي" مع بعض بما إنهم كتبوا الكتاب، وآخر الشهر يبقى بقيت الشباب، إيه رأيكم؟!

هلل الجميع بسعادة عارمة، لكن صاح "عُدي" مُعترضًا:

_لأ يا عمي أنا هتجوز مع الشباب آخر الشهر دا عشان الشقة فاضل فيها حاجات بسيطة وأنا ومنار متفقين على دا.

لم يهترض بل وافقه مُباركًا:

_مفيش مشكلة، على خيرة الله.. مُبارك عليكم يا شباب.

ووسط كل التهيليلات والسعادة التي حلت على الجميع، سحب "مدثر" يد "لوجي" له لتجلس جانبه على الفراش، ثم قبلها بقوة على وجنتها قائلًا بسعادة:

_وأخيرًا هنتجوز يا لبابة القلب!

ردت له "لوجي" قُبلته مُتحدثة بسعادة:

_روح قلب لبابة القلب يا دوسي.

انتبه "فارس" له فقام بجذب لجانبه مُوبخًا إياه:

_ابعد عن البت يا قليل الأدب، أنت بتستغل طيبتها؟!.

ورغم غيظ "مدثر" منه؛ إلا إنه قام بتحريك حاجبيه معًا قائلًا بمشاغبة:

_على آخر الأسبوع هتكون في بيتي وفي حضني وفي أوضتي والجدع اللي يتكلم بعد كدا بقى.

_شايف قلة أدب ابنك يا "ريان"؟!

هتف بها "فارس" مُغتاظًا، يحاول بشتى الطرق أن يُلهي نفسه عن فكرة أن ابنته ستبتعد عنه بعد سبعة أيام فقط!! ربت "ريان" على كتفه قائلًا بلطف:

_خلاص بقى يا فارس، ما ابنك عمال يحضن في البت اللي حيلتي وأنا متكلمتش يا جدع!

حوَّل "فارس" أنظاره لإبنه، فوجد "عدي" يُحيط بـ"منار" من كتفها يهمس لها بكلمات مجهولة ومُبهمة بالنسبة لهم وهي لا تتحدث، بل تُخفض رأسها بحرج فقط!

نفخ "فارس" بضيق مُتمتمًا بصوت مسموع غاضب:

_عِيلة مشافتش خمس دقايق تربية قسمًا بالله.

مرَّ أسبوع وسط فرحة الجميع بعودة "مدثر" بينهم من جديد، وبدأوا في تجهيز الزفاف الذي سيُقام له، عرض عليهم "يزن" أن يكون حفل الزفاف في الفيلا الخاصة به لكنهم رفضوا ذلك، ومع إصرار "سليم ورياض" وافق الجميع أخيرًا.

كانت "لوچي" تجلس بالغرفة التابعة للفيلا والمجاورة لغرفة "بيان" إبنة "يزن"، إلتف الفتيات حولها يُطالعونها بإنبهار، فقط كانت كأنها أميرة تخرج من إحدى القصص، طالعتها "بيان" بأعين مُلتمعة ثم احتضنتها قائلة بسعادة:

_ بجد You so beautiful.

نظرت "لوچي" لهيئتها مرة أخرى وكم نال مظهرها إعجابها وبقوة، عضت على شفتيها بحماس وهي تتخيل ردة فعل "مدثر" ما إن يراها، كم شعرت بالخجل خاصةً وأنها ستكون محل أنظار الجميع اليوم، ارتبكت عندما استمعت إلى صوت السيارات المُهللة بالأسفل، فجذبتها "حور" للشرفة لرؤية الإحتفال المُقام بالأسفل، وكذلك ذهبت جميع الفتيات الذين يرتدين ثيابهم هن الاخريات.

وبالأسفل... استقل كل شاب سيارة سوداء كلٌ منهم على حدة، منهم سيارة تابعة لعائلة النويهي، والأخرى لعائلة أبو زيد، وأربعة أخريات تابعة لعائلة الراوي، وثلاثة تخص أصدقاء مدثر، ولحسن حظهم كانت جميع السيارات سوداء اللون.

سارت خمس سيارات سوداء على الجانب الأيمن، وخمس على الجانب الأيسر، وبالمنتصف السيارة البيضاء التي يُزَف بها "مدثر"، توقفت السيارة بالمنتصف، ودارات السيارات حوله في مظهر دائرة يدورون حوله، تعالت التهليلات والصافرات خاصةً عندما أخرج" رياض " رأسه من السيارة مُطلقًا بعض الألعاب النارية التي تصاعدت في السماء، وكذلك تبعه الشباب في تلك الفعلة مرة أخرة.

وبعد الكثير من الرقص والإحتفالات، وجد الفتيات باب الغرف يطرق بخفة وبعدها دلف "فارس" الذي ما إن وقعت عيناه على إبنه وهي مرتدية زي الزفاف حتى أدمعت عينيه تأثرت، تسللت الدمعات لعيناها ثم انطلقت إليه قازفة بين أحضانه، إلتقطها "فارس" بين ذراعيه مُحيطًا إياها بقوة، وكذلك هي أحاطت برقبته كالطفلة الصغيرة المُتشبثة بأبيها، أبعدها قليلًا عنه مُقبلًا جبينها، ثم همس لها بعاطفة جياشة:

_أجمل وأحلى بنوتة شافتها عيوني، مُبارك يا قلب أبوكِ، ألف مبروك يا حِتة من قلبي.

شهقت "لوچي" ببكاء ثم أردفت من بين بكاؤها:

_والله هتخليني ما أتجوز وأقعد جنبك، وبعدها أمشي في الحرام مع الواد بسببك!!

ضحك "فارس" بخفة مُعيدًا رأسها مرة أخرى على صدره قائلًا:

_قليلة الربابة ومفيش إختلاف على دا.

ابتعد عنها عندما استمع لطرق الباب والتي لم تكن سوى والدتها التي ما إن رأتها حتى انفجرت باكية، لطمت "لوچي" على وجهها قائلة ببكاء:

_يالهوي عليا عاملة ميكب بـ5000 جنيه وهيبوظ بسببكم.

نسيت "زهر" بكاؤها ولطمت على صدرها بصدمة قائلة:

_يا مصيبتي!! 5000 جنيه ليه هتنوري في الضلمة!!

عدلت "لوچي" من فستانها وهي ترفع رأسها بتكبر:

_مدثر حبيبي مش بيستخسر فيا حاجة يا مامي.

أحنى "فارس" ذراعه لها لتُدخل يدها بينها، فأردف فارس بسخرية:

_طيب يلا ياختي عشان عريس الغفلة مستنيكِ تحت.

سارت مع والدها للأسفل وذلك بعد أن قام الفتيات بضبط ثوب الزفاف الأبيض الخاص بها، هبطت السلالم وهي تتأبط بذراع "فارس"، وبالأسفل ينتظره "مدثر" الذي يرتدي بذلة سوداء حالكة، ويُمسك بيده باقة من الورود الحمراء، وما إن رآها حتى فتح عيناه بإنبهار بجمالها الخلاب الذي ازداد جمالًا، صفَّر بفمه ثم صاح عاليًا دون أن يُعطي إهتمامًا لمن حوله:

_صلـــي علـــى رســـــول اللـــه، يمين بالله صاروخ وماشي على الأرض.

امتلأ المكان بصوت ضحكات المعازيم، بينما هو صعد الدرجتان المتبقيتان مُنتشلًا إياها من يد "فارس" الذي صاح به بحدة:

_خُد يلا واخد البت ورايح على فين!!!

قهقهت "لوچي" عاليًا وهبطت بتمهل معه، وأول ما فعله عندما هبطوا على الأرض السيراميكية؛ احتضنها بقوة هامسًا لها بشغف:

_كنتِ قمر وبقيتي قمرين، يا بختي بيكِ أقسم بالله.

دفنت "لوچي" وجهها بصدره وكم خجلت منه بشدة، رغم أنها مُعتادة على تلك الأحاديث منه، إلا أن تلك الليلة مُختلفة عن باقيها، فهي ستكون زوجته شرعًا وقانونًا، وهذا ما يُخجلها عند التفكير به.

طلب منهم مُجهز الحفلات الخروج إلى الردهة للرقص سويًا، عاد الجميع إلى طاولاتهم للجلوس عليها، بينما هو أخذها للمنتصف مُحيطًا لخصرها بيده، وهي أحاطت عنقه، وصمتوا..

صمتوا وتحدثت العيون بحديث طويل لم يعلمه سواهم، أفئدتهم تناسجت بخيوط عشقهم المتينة، وأجسادهم تتلاحم برقصة رقيقة المشاعر، وبعد دقائق معدودة، كرر "مدثر" مع الأغنية التي تصدح بمشاعر فاقته أضعافًا مُضاعفة، وكأنه يقصدها هي بكل كلمة مما قيلت:

_"ملكة جمال النـاس.. دلوقتي مِلكي خـلاص.. يا مثبت الإحساس جواها ثبتني.. هقفل عليها بِبان.. مرضاش جمالها يبـان.. من حقي ما انا كسبان.. ويا بختي حبتني..

وعلى الجانب الآخر.. كان "ريان" يجذب "غزل" رغمًا عنها لساحة الرقص ليشاركوا بها، حاولت "غزل" جذب يدها منه وهي تُصيح بغضب خافت:

_بس يا ريان الناس تقول علينا إيه؟!

_يا غزالتي تعالي بقى ومتغلبنيش، طب والله لهنرقص برضه ها.

خضعت له ولعناده وذهبت معه على إستحياء لساحة الرقص ليشاركوا "مدثر ولوجي" في رقصتهم، غمزه "مدثر" بعبث وهو يتحرك بخفة مع زوجته:

_والعة معاك يا والدي ها!!

أحاط "ريان" بخصر "غزل" ثم أجابه بعبث مُماثل له:

_طول عمري رايق وأنا اللي معلمك ياض.

وجاء معهم "عدي ومنار" أيضًا ليُشاركوهم في الرقص، لتقول "لوجي" بمزاح:

_دا بقى رقص جماعي بقى.

ضحك "مدثر" بخفة وبعدها قال بمكر وهو يقترب منها أكثر:

_ما تجيبي بوسة يا لبابة القلب لحد ما نكون لوحدينا.

أجابته بدلال وهي تُحيط بعنقه:

_تؤ بتكسف.

انتبه "مدثر" لوالده وركز ببصره على حركة شفتيه ليستطيع فهمه، وبالفعل أدرك ما يريده وقام بتنفيذه، وبثوانٍ كان "مدثر" يدفع "لوچي" لأبيه، و"ريان" يدفع "غزل" لـ"مدثر"، فأصبحت الأدوار مُتبادلة بينهم.

التقط "ريان" زوجة ابنه بفستانها الكبير والتي شهقت بخضة، ليقول لها بمزاح:

_اسم الله عليكِ يا مرات ابني.

تحدثت "لوچي" بخضة:

_حرام عليك يا عمو أنت وابنك والله.

دافع "ريان" عن ابنه قائلًا بمسكنة:

_والله ابني دا غلبان وطيب وعلى نياته، وأنا عايز أوصيكِ عليه يا بنتي، خلي بالك منه أصله بسكوتة خالص وبتكسف من خياله.

أكدت له "لوچي" ساخرة:

_مصدقاك يا عمو من غير ما تحلف، هو أنا هتوه عن مدثر وأخلاق مدثر العالية اللي الكل بيشهد بيها؟!

وعلى الجانب الآخر.. قبَّل "مدثر" وجه "غزل" مُردفًا بمزاح:

_إيه الحلاوة دي يا غزالة؟! أنتِ جاية تاكلي علينا الجو أنتِ وبابا ولا إيه؟!

أجابته "غزل" بحنق:

_والله أنت مش هتتهد ولا تعقل أنت وأبوك أبدًا غير ما أطفش وأسيبلكم البيت.

عاتبها قائلًا:

_ومين اللي هيعملنا المكرونة بشاميل؟!

كزت على أسنانها بغيظ، ليُقهقه هو عاليًا ثم قبَّلها من جبينها قائلًا بحنان:

_خلاص متزعليش أنا معنديش أغلى منك ومن بابا.

ابتسمت "غزل" بخفة ومازال هو يُراقصها:

_طالع بكاش زي أبوك، بكلمتين كنا نتخانق من هنا وأحلف يمين تلاتة ما أنا مكلماه، ويجي يقولي يا غزالتي ببقى هاين عليا أدوب من حلاوته.

قهقه "مدثر" عاليًا، وعلى حين بغتةً قاموا بتبديل الأدوار هو و"عدي" تلك المرة بعد أن أداروهم حول أنفسهم، لتُصبح "غزل" بين يدي "عدي" و"منار" بين يدي شقيقها.

طالعته "غزل" بغضب ليقول "عدي" بخوف مصطنع:

_مليش دعوة ابنك هو اللي غمزلي وقالي أعمل كدا.

_صبرك عليا يا عدي، كلها أسبوعين وتكون جوز بنتي وهتشوف شغل الحموات اللي على حق.

اصطنع "عدي" الحزن وهو يقول:

_وأهون عليكِ يا حماتي يا عسل.

منعت "غزل" ضحكتها من الظهور قائلة بترفع:

_آه تهون عادي.

بينما على الجانب الآخر.. هبط "مدثر" على وجنة شقيقته يُقبلها بحنان، تبعه قوله المُحِب:

_حبيبة أخوها يا ناس.

أحاطت "منار" بعنقه قائلة بحزن زائف:

_لأ ما أنت هتنساني بقى بعد جوازك من الست لوجي اللي هتاخدك مننا.

نفى قائلًا بحنان:

_عيب الكلام دي يا صعلوقة، دا أنا اللي مربيكِ يعني أنتِ بنتي مش أختي.

مازحته "منار" تردف بمشاكسة:

_أي نعم تربية مش ولا بُد بس همشيها عشان خاطر عيونك الرمادي دي.

ضحك "مدثر" عاليًا ثم غمزها قائلًا:

_تربية عسل ومحترمة يابت.

وكما حدث منذ قليل، أدار الشباب الفتيات وعاد كل منهم لموضعه ومسكنه الطبيعي، عادت "منار" لـ"عدي" بعد أن

رمت له إبتسامة ساحرة سلبته للمرة التي لا يعلم عددها، وعادت "لوچي" لـ"مدثر" الذي شدد من احتضانها وكأنها غابت لسنوات، وأخيرًا عادت "غزل" لـ"ريان" الذي همس لها بعشق بعد أن استند بجبينه على خاصتها:

_ودا يعلمنا إيه!! إنك مهما تلفي وتدوري فمكانك هيفضل هنا.. معايا وفي حضنك.

اقتربت الفقرة من الإنتهاء.. وختمها "مدثر" بحمله لـ"لوچي" يدور بها بسعادة وهو يصرخ عاليًا:

_بحبـــــــــك.

ضحكت بشدة على فعلته المُتهورة وهمست له بعشق بعد أن أنزلها:

_وأنا بموت فيك.

جاء بعد ذلك الشباب لأخذه أما هي فجلست مكانها على مقعد العروس لترتاح من تعب النهار قليلًا، تاركة إياه مع حفنة من المجانين المُسمين بأصدقائه.

_تيس تيس.. الله.. الله الرجاء الإنتباه..

هتف بها "رياض" الذي يرتدي نظارة سوداء كحال الشباب الباقيين والمُلتفين حوله، انتبه له جميع المعازيم، فكز "يزن" على أسنانه قائلًا وهو يميل على "عمر" الذي يُتابع ما يحدث بحماس:

_الله يخربيتك أنت وابنك يا عمر، الزفت دا بيتنيل بيعمل إيه هيفضحنا.

أشاح "عمر" بيده بلامبالاة قائلًا:

_اسكت بقى يا يزن وسيب الواد في حاله وسيبني أنا كمان أتفرج.

وعلى الجانب الآخر أكمل "رياض" حديثه مُردفًا بدرامية:

_سيداتي سادتي برجاء الإنتباه، اليوم هو حفل زفاف صديقي العزيز مدثر، يعني الحب والرجولة والمحترم أوي أوي أوي، فحبيت أنا والشباب نقدمله عرض كدا يليق بهيبته كعريس.

صمت قليلًا ثم غمز له قائلًا بغناء:

_تيچي نتچوز بالسر... تيچي ناخد بيت بعيد بيبـــــي.... ريمكس رياض حاحا... احم كنت بجرب الميكروفون بس.

قال جملته الأخيرة بإحراج عندما استمع لصوت الضحكات تعلو من حوله وبعدها قام بالإشارة إلى أحدهم بعد أن هبط وسط أصدقائه صارخًا به:

_شغَّـــل يا بليـــــة.

وبعدها صدحت الأغنية ليرقصوا عليها بعد أن داروا على هيئة حلقة كبيرة تضم بها جميع الأصدقاء هاتفين بصوت واحد:

_بصي يا دنيا أنا ضهري زميلي...
لو أقع في شدة في دقيقة بيجيلي..
أنا خصمي صاحبي خصمي يا ناس ميري..
ده أخويا يا جيهة..
ده بعلو صوتي بنده فوقوا بقى.
ده زميل تميلي، أخويا يا منطقة..
ضهره في ضهري في عراك أو شقى..
صاحبي قضيها..

وانقضت الليلة ما بين رقص ومرح ولهو وسعادة طغت على الجميع، سواء كبيرًا أو صغيرًا، وعاد العروسين إلى منزل الزوجية الخاص بهم، بعد معاناة كبيرة وسنوات

قضوها معًا مليئة بالحب والأُلفة والمودة، حتى جاء هذا اليوم الذي انتظروه بفارغ الصبر وبصدرٍ رحب، ليُعلن "مدثر" للجميع بأنه يعشقها ولم يتوانى لحظة في إسعادها، حتى سلمت هي رايتها البيضاء، وأصبحت زوجته شرعًا وقانونًا.

باليوم التالي...

ظل "فارس" يزرع الغرفة ذهابًا وإيابًا وكأنه يسير على جمرات تقوم بإحراقه، بينما "زهر" تُراقبه بإبتسامة حاولة إخفاؤها قدر المُستطاع، ولسوء حظها لم تستطيع منعها أكثر ولاحظها "فارس" الذي صرخ قائلًا:

_بتضحكِ على إيه أنا عايز أعرف؟!! وبعدين أنا مش عارف مين اللي المفروض يكون كدا، أنا ولا أنتِ؟!

وقفت "زهر" من مكانها ضاحكة أثناء قولها الغير مُصدق:

_أنت بتهزر يا فارس؟! أنت عايزنا نروحلهم الفجر؟!

برر "فارس" قائلًا:

_وفيها إيه يعني! أنا عايز جوز بنتي يصلي الفجر عشان ياخد بإيد بنتي للجنة، اسكتِ أنتِ إيش عرفك.

جذبت يده برفق حتى أجلسته على الفراش مُربتة على ذراعه بلين:

_طيب نام دلوقتى يا حبيبي والصبح هنروحلهم، على الأقل يكونوا صحيوا من النوم.

لم يقتنع من البداية، لكن مع إصراراها خضع أخيرًا وذهب في ثباتٍ عميق بسبب إنهاك جسده طيلة النهار، هو مُتعب ويحتاج للراحة لكن قلبه يتآكل على فِلذة كبده، لا يستطيع إستيعاب بأنها لا تبيت في منزل أبيها اليوم، لقد ذهبت إلى منزل زوجها للأبد!!

_مش أنا قولتلك يا زهر صحيني الساعة عشرة!!! لسه سبتيني دا كله؟!

هتف بها "فارس" أثناء ربطه لرباط حذائه وبجانبه وقفت "زهر" التي تُمسك بعض المشتريات لإبنتها، والتي هتفت ساخرة:

_يا فارس أنت كنت نايم زي القتيل مش حاسس بأي حاجة وأنا مالي.

نفخ "فارس" بغيظ بعد أن اعتدل ثم حمل منها بعض الحقائب وهبط للأسفل، ليجد الجميع في إنتظارهم، ورغم أن منزل "مدثر" لا يبعد عنهم سوى ببضعة خطوات؛ إلا أنهم ارتدوا أفضل الثياب وأحسنها، خاصةً الشباب المُتلهفين لرؤية صديقهم بعد أول ليلة من الزواج!

دلف الجميع ثم صعدوا لمنزله وأول من طرق الباب هو "ريان"، ظلوا ثانية وثانيتان لكن لا يوجد رد، قام بالطرق مرة أخرى لكن كانت نفس النتيجة لا يوجد رد، فدفعه "فارس" حانقًا ثم طرق على الباب بحدة:

_افتح يلا يا ابن ريان.. عملت إيه في البت يلا قتلتها صح؟!!

حدجه الجميع باستنكار لكنه لم يبالي وظل يطرق حتى فتح "مدثر" الباب بوجه مُمتعض صارخًا بهم:

_إيه قلة الذوق اللي حلت عليكم دي أنا مش فاهم، الرسول قال خبطوا 3 مرات وبعدها غوروا لو مفيش رد مش تخبطوا مليون مرة!

دفعه "فارس" من كتفه بحدة ثم سبه قائلًا:

_يعني أنت يا حيوان سامعنا ومع ذلك مفتحتش برضه!!

_كنت لسه هصحي البت بس انتوا قطعتوا عليا اللحظة اللي بتمناها من زمان.

قالها بحنق، فضربته "غزل" على كتفه بخفة وهي تضحك:

_يخربيت قلة أدبك ياريتك كنت طردتنا أحسن.

احتضنها "مدثر" ضاحكًا وهي كذلك، ثم أردف بعبث:

_لأ أنتِ عارفاني محترم مقدرش أطرد حد من بيتي.

تشنج وجه "غزل" مُكررة كلمته باستنكار:

_محترم آه على يدي.

أفسحت الطريق لـ"ريان" الذي احتضن ابنه متشدقًا بمكر:

_ابني فخر العرب.

غمزه "مدثر" مُمازحًا:

_والمناطق والمجاورة وحياتك يا والدي.

وبعدها أكمل التحية مع أعمامه وأصدقائه الذي لم يسلم منهم ومن خبثهم المُشابه له، جلسوا جميعًا على الأريكة بعد تبادل السلام، فتسائل "فارس" مُمتعضًا:

_فين بنتي ياض.

أجابه "مدثر" باستفزاز:

_جاية أهي.

جاءت بتلك اللحظة "لوچي" التي تُعدل من حجابها ثم اتجهت تلقائيًا إلى أبيها الذي التقطها بين يديه مُحتضنًا إياها:

_وحشتيني يا قلب أبوكِ.

_وقلب جوزها كمان يا حمايا.

قالها "مدثر" بكيد لإغاظة "فارس" وبالفعل نجح في ذلك، ليزمجره قائلًا:

_متدخلش بيني وبين بنتي يلا بدل ما أخدها وأمشي وربنا.

قضى الجميع وقتًا لطيفًا ما يقرب الساعتين، وكان كلًا من "مدثر ولوچي" فرحين بتلك الجلسة حتى جاء موعد

ذهابهم، استأذنوا جميعًا بينما اعترض "فارس" مُتمددًا على الأريكة براحة:

_روحوا انتوا بقى أنا هبات مع بنتي الليلة دي.

كز "مدثر" على أسنانه قائلًا بحقد:

_يا رب الصبر بدل ما أخنقه ويقولوا قتل حماه واتسجن بسببه.

رسم "مدثر" ابتسامة صفراء على ثغره ثم أردف بإحترام زائف:

_كان نفسي يا عمو والله بس احنا بننام من المغرب معلش.

تصنع "فارس" الدهشة فتحدث بعدم تصديق:

_احلف!! إيه الصدفة الحلوة دي!! أنا كمان بنام من المغرب، حيث كدا بقى أنام معاكم المرادي.

ضجر "ريان" من مشاكسته لإبنه فذهب إليه ساحبًا إياه من مضجعه رغمًا عنه وهو يردف بحنق:

_تعالى يا فارس وسيب العيال براحتهم بقى متبقاش عامل زي العزول كدا.

سار معه "فارس" على مضض وإلتف مُسددًا نظرة مُتوعدة تجاه "مدثر" الذي ترتشم الشماتة جلية على وجهه.

أغلق "مدثر" الباب خلفهم مُمتنًا من داخله لوالده الذي أنقذه من خطة "فارس" التي كان ينتوي تنفيذها، استدار لها وتحولت عيناه للمكر الشديد عندما لمحها، ثم أردف وهو يغني:

_الجو ضالمة خالص.. والدنيا هُس هُس.. وأنا.. وأنت.. يا حبيبي.. يا حبيبـــي.

بعد مرور شهر كامل... أمسك "مدثر" بيد "لوجي" قائلًا وهو يُشاكسها:

_براحة عشان حبيب بابا ميحصلوش حاجة.

قالها وهو يضع يده على معدتها التي لم تظهر بعد، لتضحك هي بخفة ثم عاتبته قائلة:

_يلا يا مدثر بسرعة بقى البنات هيزعلوا مني لو مروحتش بدري.

_يا حبيبتي هما هتلاقيهم مشغولين دلوقتي وأنتِ عارفة، وبعدين الدكتورة محذراكِ من الحركة الكتير في الشهور الأولى عشان كدا موافقتش تروحي معاهم من الصبح.

حدجته بحب ثم أردفت بإمتنان:

_ربنا يديمك ليا يا حبيبي وميحرمنيش منك أبدًا يارب.

أمسك بكفها يُقبله متحدثًا بعشقك:

_ويباركلي فيكِ أنتِ وابننا اللي جاي يا روح قلبي.

وصلا أخيرًا إلى القاعة المُقام فيها الزفاف بعد أن استقل معه السيارة أبويه وحمويه أيضًا،

دلفوا للداخل وجلسوا على المقاعد وسط المعازيم الكثيرة التي جاءت لتقديم التهاني والمباركات للعروسين، وما هي إلا دقائق معدودة واستمعوا إلى صوت أبواق السيارات تتعالى بالخارج، فعلموا بأن الجميع قد أتى الآن، خرجت العائلة بأكلمها، بينما جلس "مدثر" بجانب "لوجي" حتى لا يتركها وحدها، وكم كانت تلك الفعلة قريبة لقلبها حقًا.

وبعد وقت ليس بالقليل دلف الشباب وبأيديهم العرائس المُتزينين على أكمل وجه، دلف أولًا "سليم وبيده جميلة"،

وبعده دلف" إسحاق ومعه حور"، تلاه "رياض المُمسك بيد رهف"، وبعدهم دلف "سليمان وميادة"، ثم أتبعه "عدي ومعه منار"، وأخيرًا دلف "مصطفي ومعه زينب".

دلفوا كصفوف حتى وصلوا إلى منتصف الساحة، أشار "إسحاق" لـ"مدثر" بحماس لوجوده، فرد له مدثر الإشارة سعيدًا بأصدقائه، أمسك كُلًا منهم بيد عروسه واستداروا كدائرة، وبالطبع تم اختيار قاعة كبيرة للغاية حتى تكفيهم، وبدأت ألحان الأغنية الرومانسية تصدح بالأرجاء وكُلًا منهم يُوجهها لشريكته.

فبدأ "سليم" أولًا بالغناء وهو يُردد بحب:

_عليكِ عيون.. لا بتنافق ولا بتخون.. وفيها من الأمان مخزون.. وفيها من الجمال أسرار..

أكمل بعده "إسحاق" الذي نظر لعيني "حور" مُباشرة:

_عليكِ كلام.. يمشي الحزن وأبقى تمام.. يطمن قلبي يرجع خام.. أكون أنا وأنتِ كالأطفال..

تلاه "عدي" الذي أحاط بخصر "منار" مُشددًا من إحتضانها:

_عليــكِ سلام.. يقويني على الأيام.. فيه طاقة تزقني لقدام.. وبيها بكمل المشوار..

وبعده تمتم "رياض" مُبتسمًا بحب:

_عليكِ هدوء.. حلاوة صوت ونظرة شوق.. أكون زعلان أشوفك أروق.. وأحس براحة واستقرار..

تحرك "سليمان" بخفة على الإيقاع ثم أردف بغناء مع الأغنية التي تعكس مشاعره:

_عليكِ جمال.. وقلبك صافي وابن حلال.. معاكِ بعيش في راحة بال.. ومن غيرك بكون محتار..

جاء دور "مصطفي" الذي كان يكن الإعجاب لـ"زينب" لفترة كبيرة ثم تمتم أثناء نظره لمحياها:

_وجودك خير.. بضحكة يومي جميل.. بتسند ضهري وقت ما أميل.. أنا فعلًا عرفت أختار..

ومع الإيقاع الذي يليه، أدار الشباب الفتيات حول أنفسهم مُكملين الغناء بصوت عالٍ نسبيًا:

_عليكِ سلام.. يقويني على الأيام.. فيه طاقة تزقني لقدام.. وبيها بكمل المشوار..

وبعدها حمل كل واحدٍ منهم عروسه من خصرها للأعلى، ثم داروا بهم في مشهد مُهيب للأعين، قابض للأنفس، وكأنهم أميرات قد خرجن للتو من ديزني بمظهرهم الخلاب هذا، وهُم الأمراء الذين أكملوا الغناء بكل ذرة حُب تكمن في دواخلهم:

_عليكِ هدوء.. حلاوة صوت ونظرة شوف.. أكون تعبان أشوفك أروق.. وأحس براحة واستقرار..

استمعوا إلى تصفيق حار من الجميع والشباب الذين أطلقوا صافرات تعبر عن مدى إعجابهم بذلك الزفاف الرائع..

بعد مرور تسعة أشهر..

انتفض "مدثر" فزعًا من صراخ "لوجي" الذي هز الأرجاء، جلس جانبها متسائلًا بخوف وبلاهة بذاتِ الوقت:

_مالِك يا لوجي؟!!!

جذبته من ياقة قميصه وهي تُجيبه بعنف يشوبه الصراخ:

_مالي في جيبي يا روح لوجي... اااه الحقني يا مدثر بولد.

صاح مدثر بسعادة مُهللًا:

_بجد!!! ألف مبروك يا حبيبتي.. الحمد لله يا رب.. الحمد لله..

صرخت به بنفاذ صبر أثناء إمساكها لبطنها بألم:

_هموت يابن المُتخلفة إلحقنـــــي.

حملها "مدثر" بفزع ثم انطلق بها إلى المشفى بعد أم اخبر العائلة التي هرولت خلفه إلى المشفى، ظلت نصف ساعة بداخل غرفة العمليات وقلبه يتآكل بخوف عليها، ابتلع ريقه بقلق فشعر بيد توضع على ذراعه كان صاحبها "فارس" الذي طمأنه بحنان:

_متقلقش عليها هتكون كويسة.

رفع "مدثر" رأسه للأعلى مُترجيًا:

_يارب.. يارب..

انتظروا دقائق أخرى حتى خرج لهم الطبيب يخبرهم بإبتسامة عملية:

_ألف مبروك.. المدام والولد بخير الحمد لله، ودلوقتي هيتنقلوا هما الاتنين لأوضة عادية.

احتضن "مدثر" أباه صائحًا بسعادة شديدة:

_بقيت أب يا بابا.. بقيت أب..

أدمعت عين "ريان" بحماسة قائلًا:

_وهتكون أحسن أب في الدنيا كلها، ألف مبروك يا حبيبي.

بعد دقائق، دلف الجميع للغرفة فوجدوا "لوجي" مُستندة على ظهرها وبيدها الصغير النائم بملائكية، جلس "مدثر" بجانبها مُقبلًا جبينها بحب بعد أن همس لها بحب:

_حمدالله بالسلامة يا حبيبة قلبي.

أجابته بإنهاك طفيف:

_الله يسلمك يا حبيبي.

رأى الجميع الصغير ورحبوا بفردًا جديدًا ينتمي لعائلتهم الجميلة، فتحدث "إسحاق" بمزاح لصديقه:

_أكيد هتسمي ابنك على إسمي عشان يطلع شبهي صح؟!

نظر له "مدثر" باشمئزاز قائلًا:

_إيه القرف دا!! لأ طبعًا؟!!

تسائلت "زهر" بابتسامة طفيفة له:

_أومال هتسميه إيه يا مدثر؟!

حمل "مدثر" الصغير من بين يدي زوجته بحذر، ثم اتجه به ناحية والده الذي يستمع للحديث بانتباه حتى وقف أمامه بصغيره، وبعدها تحدث بحب شديد:

_هسميه "ريان".. وهيبقى "ريان مدثر ريان الطحاوي".

ورغم فرحة" ريان" العارمة، إلا أن "غزل" اعترض قائلًا:

_لأ سميه إسم تاني يا مدثر أنا محبش حد يشاركني في إسم جوزي، وبعدين اشمعنا ريان يعني؟!

أجابه "مدثر" وأنظاره مُثبته على والده:

_عشان بابا يستاهل كل حاجة حلوة في الدنيا، وإن إسم إبني يكون على إسمه دي أقل حاجة ممكن أقدمها ليه، هو ضحى عشاني كتير، حرم نفسه من حاجات كتير أوي علشاني، أنا لو أطول أجيبله نجمة من السما وأقدمهاله هعملها، عشان الدنيا في كفة وبابا لوحده في كفة تانية، ورغم كدا كفته هي اللي هتفوز".

هبطت دموع "ريان" تأثرًا، فأحاط به "مدثر" وبيده الصغير قائلًا:

_بحبك يا بابا.. ولو إن الحب كلمة قليلة على اللي أنا حاسس بيه.

أجابه "ريان" بصوت مُتحشرج:

_وأبوك فخور بيك لآخر نفس في عمره.

انقبض قلب "مدثر" من تلك الفكرة قائلًا بجزع:

_بعد الشر عليك يا حبيبي متقولش كدا عشان خاطري.

أومأ له "ريان" بنعم وهو يبتسم، ثم هبط على جبين الصغير يُقبله بلطف وحنان شديد، ابتعد قليلًا عنه ثم أحاط بكتف "غزل" قائلًا بإبتسامة مُتسعة:

_عندي ليكوا أنا وغزالتي مفاجأة..

مسحت "غزل" دموعها التي هبطت تأثرًا بحديث الأب وابنه وبعدها ابتسمت بإستحياء، ليتسائل "معتصم" بتعجب:

_مفاجأة إيه دي يا ريان؟!

نظر "ريان" لـ"غزل" متسائلًا:

_هتقولي أنتِ؟!!!

أومأت له "غزل" بالإيجاب، ناظرة لأوجه الجميع التي تُطالعها بانتباه، ثم همست بخجل:

_أنا حامل.

"النـهـايـة"

"جنون تحت السيطرة"

"متيمة بنيران عشقه ٢"

|شـروق حـسـن|